ابحث عن قيمتك
أيها الإنسان
(١)

شفاء

الدكتور
محمد محمد داود

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار المنار للنشر والتوزيع

٩ ش حسن العدوى ــ الحسين

ت : ٥٩١٥٠٨٥

المحتـــــوى	الصفحة

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

وبعد :

هذا الكتاب كان في أصله جملة من المقالات التي تم نشرها بجريدة اللواء الإسلامي في الفترة من ١٧/٩/٩٨ إلى ٢٩/٧/٩٩.

وأشار عليَّ أخي الفاضل الأستاذ/ **محمد الشندويلي** نائب رئيس تحرير جريدة اللواء الإسلامي بطبعها ؛ لما تحويه من أفكار مثمرة تنفع الشباب في حياتهم، وتقدم لعامة الناس معلومة ميسرة بأسلوب سهل التناول.. تناقش الواقع المعاصر للإنسان المسلم وتربطه بهدى القرآن والسنة؛ ليتعلم الشاب المسلم كيف يحيا في سبيل الله .

وكان لعنوان المقالة الأولى التي صدرت بجريدة اللواء الإسلامي « ابحث عن قيمتك أيها الإنسان » قبولاً واستحساناً لدى الكثيرين من المتابعين لهذه المقالات، فصار العنوان الخاص بها في جريدة اللواء الإسلامي.

والحق أن كل الموضوعات الفرعية التى وردت تحت هذا العنوان الأم، على صلة وثيقة به؛ حيث إنها تشير كلها إلى الحقيقة المنشودة التى تعالجها هذه المقالات ، وهى أن قيمة الإنسان تعلو وترتفع بالإيمان، وكلما ازداد التزام المؤمن بتكاليف الإيمان من أعمال صالحة وفعل للخيرات وترك للمنكرات، كانت قيمته عند الله غالية وكان قدره عند الله عظيماً .

وكذلك نجاة الإنسان من ضغوط الحياة وأزماتها النفسية لا يتأتى له إلا فى رحاب هدى الله تعالى .

وأخيراً وليس آخراً أدعو ربى أن يجعل فى هذا الكتاب الخير ، وأن يهدى به وأن يوفقنى لاستكمال نشر هذه السلسلة والله ولى التوفيق والسداد .

﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾

د . محمد محمد داود

مكتبة العلماء بمسجد العمرانية

ت : ٥٦٨٥١٢٢

ابحث عن قيمتك أيها الإنسان

في ليلة شاتية طويلة، طوى الذهن الأيام الطوال من عمر مضى، مزدحم بالأحداث : آمالٌ تتحقق، رغباتٌ تتبدد، رفاق وأحباب يتخطفهم الموت، مواليد جديدة تحمل أمل الحياة... وهكذا تتلون الحياة : فقر بعد غنى، وغنى من بعد فقر، صحة من بعد مرض، ومرض من بعد صحة، ظلمٌ هنا وفقرٌ هناك، وتطوينا الأيام كما طوت من قبلنا... ما هذي الحياة ؟ وما الإنسانُ فيها ؟

ولعل الملائكة كانت قلقة على مستقبل الإنسان على سطح هذه الأرض حين قالت :

﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ [البقرة/ ٣٠]

وكان الجواب من العلي الأعلى : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ [البقرة/ ٣٠]

ويوجه اللهُ تعالى الإنسانَ ويذكّره بحقائق غالية من

شأنها إيقاظ الإنسان من غفلته، وماذا يملك الإنسان أمام هذه الاستفهامات القرآنية الخالدة، يقول الله تعالى :

﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ [المؤمنون / ١١٥].

﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** ﴾ [القيامة/٣٦]

﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ [الجاثية/٢١].

وتعالى الله أن يخلق الإنسان أو الكون عبثًا !!

تعالى الله أن يترك الإنسان دون حساب !!

كما يذكّرنا القرآن الكريم بلحظات وأوقات مرت وأزمنة مضت، ولم يكن للإنسان فيها ذكر ولا وجود، وعلى العاقل أن يسأل نفسه : من الذى جعل للإنسان ذكرًا ووجودًا ؟!

لقد كان الإنسان قبل فضل الله حفنة من تراب ؛ ثم

أنعم الله وتفضل على حفنة التراب فسوَّاها ؛ ثم نفخ فيها من روحه، لقوله تعالى : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ [ص/ ٧٢].

وبعد أن تفضل الله تعالى على الإنسان فخلقه وجعل له ذِكْرًا ووجودًا بيَّن ووضح له مهمته فى هذا الوجود، فقال الله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ [الذاريات / ٥٦] .

ويصنف القرآن الكريم الناس حسب استجابتهم لهدى الله وتوجيهه إلى قسمين، ويرسم لذلك صورتين، يمكن من خلالهما تفسير مظاهر التناقض التى نراها فى هذه الحياة:

(أ) **الصورة الأولى** : توضح الإنسان حين يتخلى عن هدى الله وتوجيهه، حين يتخلى الإنسان عن الإيمان وعن مهمته فى هذا الوجود، وهى مهمة العبودية الخالصة لله رب العالمين.

ويمكن الوقوف على أهم ملامح هذه الصورة من خلال الآيات التالية :

- ﴿ **إن الإنسان لظلوم كفَّار** ﴾ [إبراهيم/٣٤].
- ﴿ **وكان الإنسان عجولا** ﴾ [الإسراء/ ١١].
- ﴿ **وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلا** ﴾ [الكهف/٥٤].
- ﴿ **إن الإنسان لكفور مبين** ﴾ [الزخرف/١٥].
- ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا** ﴾ [المعارج / ١٩].
- ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ [العاديات/٦].
- ﴿ **إن الإنسان لفى خسر** ﴾ [العصر / ٢].

والحديث عن الإنسان الطاغية الظلوم الكَفَّار الخاسر الهلوع الكنود حديث عن الإنسان حين يترك لنفسه وهواه، حين يستبد به الشيطان فى غيبة الإيمان.

وبعد هذه الأوصاف الذميمة يعرض القرآن لنا الصورة الثانية المضيئة.

(ب) **الصورة الثانية** : وهى صورة الإنسان حين يؤمن، ويظهر عليه أثر الإيمان فى أقواله وأفعاله وسائر أحواله. وتظهر الآيات القرآنية هذه الأوصاف الطيبة

بوضوح ؛ كما في قوله تعالى :

﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [الأنفال/ ٢] .

ثم هناك داخل مجال الإيمان منازل ودرجات للمؤمنين عند الله تعالى وضحها القرآن الكريم، منها : درجة التقوى، ودرجة الصبر، ودرجة الإحسان، ودرجة الأبرار . وغيرها من المنازل الإيمانية .

وكل هذا يعطينا إشارة واضحة إلى سر الصلاح والفلاح والتحول من الضلال إلى الهداية.. إنه الإيمان.. فبدون الإيمان يتأتى للإنسان الأوصاف الذميمة .. وبالإيمان يتحلى المؤمن بالأوصاف الحميدة.. فقيمة الإنسان غالية حين يؤمن .

اللهم رُدَّنا إلى الإيمان ردًّا جميلا .

والحديث موصول إن شاء الله تعالى .

بركة القرآن.. لِمَنْ؟

انتهينا في الحلقة السابقة إلى حقيقة قرآنية غالية ؛ وهي أن الإنسان تتأتى له الأوصاف الحميدة حين يؤمن، وتتأتى له الأوصاف الذميمة حين يتخلى عن الإيمان .

ومن هنا يمكن أن ندرك بوضوح أن قيمة الإنسان غالية وعالية حين يؤمن، وتؤكد الآيات القرآنية هذا المعنى في مواضع كثيرة، منها قول الله تعالى :

﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [المجادلة / ١١]، وقوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات / ١٣] .

ويقدم لنا القرآن الكريم صورة واضحة عن منازل المؤمنين ودرجاتهم من خلال بيان منزلتهم عند الله تعالى، وما أعده الله لهم في الجنة، كما في قوله تعالى : ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر** ﴾ [القمر / ٥٤، ٥٥] .

ويربط القرآن الكريم بين الجزاء الأوفى للمؤمنين وبين منهج المؤمنين فى حياتهم وأخلاقهم؛ كى ننهج نهجهم ونتأدب بأدبهم ونتخلق بأخلاقهم..

ولعل سائلاً يسأل : ما السبيل إلى هذه المنازل ؟ وكيف نتحصل على بركتها ؟ هل يكفى إعلان كلمة الإيمان ؟!

لقد فَرَّق القرآن بين صنفين من الناس كلاهما قال : ربنا الله.

– **فالصنف الأول** : قالها خداعًا ولم يكن لها أثر فى حياته، فقال الله فى حقه : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ [البقرة/٨].

– أما **الصنف الثانى** : فقد أعلن إيمانه بصدق، وكان للإيمان أثر فى حياته، فقال الله فيهم :

﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ [فصلت/٣٠].

وهكذا تؤكد الآيات حقيقة هامة ؛ وهى أن بركة القرآن لمن يعمل به .. فالعمل الصالح بعد الإيمان الصادق هو السبيل إلى تحصيل هذه المنازل الإيمانية.

ولقد حذر القرآن الكريم من تحول الدين إلى كلام تتغنى به الألسنة دون التزام به فى واقع عملى، وضرب لذلك مثلاً قاسيًا، فقال تعالى :

﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ [الجمعة/٥].

وقال تعالى فى شأن الذين أنعم الله عليهم بمعرفة الهدى ولم يستجيبوا له فى واقعهم العملى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ...** ﴾ [الأعراف/١٧٥، ١٧٦].

بهذا كله يتأكد للمؤمن أهمية العمل الصالح والاستجابة لأوامر الله عز وجل.

ولا يخفى على عاقل أثر **الجانب العملى التطبيقى** فى الدين كله، فهو أجدى وأكثر فعالية من الجانب النظرى.

وحسبنا أن نتأمل انتشار الإسلام فى أفريقيا وأسيا كيف تَمَّ على أيدى التجار المسلمين لصدقهم وأمانتهم، وهناك الكثير من الأمثلة فى حياة الدعوة لسيدنا محمد ﷺ نلمح فيها إسلام الكثير بسبب أفعال ومواقف هادية من النبى ﷺ من ذلك :

- إسلام الجار اليهودى بسبب صبر النبى ﷺ وتحمل أذاه.

- وإسلام الحبر اليهودِي (زيد بن سعنة) لما تأكد من حلم النبى ﷺ مع الجاهلين.

اللهم بنور القرآن نور قلوبنا

وببركته أحسن ختامنا

والحديث موصول إن شاء الله تعالى

العبد بين هدايتين

كثير من الناس إذا دعوته إلى طاعة مفروضة، أو للإقلاع عن معصية، يقول لك : لَمَّا ربنا يهدينى، أو يقول : لو شاء الله لهدانى . . !! وهكذا سريعًا يُخْرِج هذا الإنسان نفسه من دائرة المسئولية، ويلقى بالمسئولية على الله تعالى .

وفضلاً عما فى هذا التفكير والسلوك من سوء أدب مع الله تعالى، فإنه مغالطة مع النفس فى رحاب خدعة شيطانية لصرف الناس عن طاعة الله .

وسوف يُردُّ الله هذا التفكير على أصحابه يوم القيامة، ولن يقبل عند الله تعالى، قال الله عز وجل : ﴿ **أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين** ﴾ [الزمر / ٥٦ - ٥٩] .

حـقًـا إن الهـدايـة من الله تعـالى، وإن هدى الله هو الهدى، لكن القرآن الكريم يميز بين هدايتين :

الأولى : هداية أجـراها الله عن طريق الأسـبـاب، وهى هداية الإرشاد والبيان، فجعل الله القرآن الكريم سبباً لهداية الناس، قال الله تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ [الإسراء / ٩].

وجعل الله الأنبياء أسباب هداية يرشدون الناس إلى ما يقربهم من الله تعالى، قال تعالى بشأن سيدنا محمد رسول الله ﷺ : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾ [الشورى/٥٢].

كذلك العلماء ورثة الأنبياء جعلهم الله أسباب هداية، قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا** ﴾ [السجدة/٢٤].

لقد يسر الله أسباب الهداية للناس جميعًا، فأنزل الكتب السماوية، وبعث النبيين وأرسل الرسل، وجعل العلماء ورثة الأنبياء يدلون الناس ويرشدونهم.

فمن استجاب لهداية السبب فاتبع القرآن واقتدى بسيدنا محمد ﷺ وجاهد نفسه وهواها تفضل الله عليه ومنحه منزلة أخرى من منازل الهداية، لا تتأتى هذه المنزلة بواسطة مخلوق بل بتوفيق الله تعالى وتلك هى الهداية الثانية : هداية التوفيق، قال الله تعالى :

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [العنكبوت/٦٩].

وقال : ﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ [الأعراف/١٥٨].

وقال : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [النور/٥٤].

أما إذا انصرف العبد وأعرض عن هداية الله، فترك أسباب الهداية، ولم يتبع القرآن ولم يقتد برسول الله ﷺ فهو محروم من الهداية ومن توفيق الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ [التوبة/٨٠]، وقوله : ﴿ **والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ [الجمعة/٥] ، ونحو ذلك من الآيات.

اللهم تولنا وارض عنا ، والحمد لله رب العالمين.

الإنسان بين شقوتين

اقتضت حكمة الله تعالى أن يعهد إلى آدم بالأكل من كل الثمار بالجنة سوى شجرة واحدة ؛ لتكون التربية الإلهية لعزم آدم وإرادته فى الالتزام بهدى الله تعالى، والتحرر من رغائب النفس وعدم الضعف أمام المغريات. وتلك هى التجربة الأولى التى يخفق فيها آدم ويغلب عليه الضعف البشرى تجاه الرغبة فى البقاء والرغبة فى السلطان، وهكذا زين له الشيطان : ﴿ **قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ [طه/١٢٠] وكانت هذه التجربة بمثابة تمهيد وتهيئة ليكون آدم خليفة بعد ذلك. ولقد أدركت العناية الإلهية آدم فاجتباه ربه وهداه. ثم صدر الأمر الإلهى إلى الخصمين أن يهبطا إلى الأرض مع تنبيه آدم بعداوة الشيطان .. ﴿ **قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو** ﴾ [طه/١٢٣] ولقد بين القرآن الكريم أن النزول إلى الأرض والخروج من الجنة يتبعه شقاء

وضـــلال، وتعب وعناء : ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ [طـه/١١٧] .. فالشقاء إذن ينتظر آدم خارج الجنة. ونلمح من سياق آيات القرآن الكريم أن هناك تميزاً بين شقوتين لابن آدم فى دنيا الناس.

الأولى : شقوة عامة : وهى الكدح والتعب لتحصيل الأرزاق وإنجاز الأعمال.. وتحمل الآلام التى تصيب الإنسان لفَقْد عزيز أو لمرض شديد .. أو لعدم وفاء صديق .. إلخ. وإلى هذه الشقوة أشار القرآن الكريم فى آيات، منها : ﴿ **ياأيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحًا فملاقيه** ﴾ [الانشقاق/٦].

الثانية : شقوة خاصة : وهى الشقوة التى تترتب على المعصية . وتفهم هذه الشقوة من سياق الآيات التى تتحدث عن الأثر الناتج عن انحراف العبد عن هدى الله تعالى، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا** ﴾ [طه/١٢٤] ولا سبيل أمام الإنسان للسلامة من الشقاء فى الدنيا إلا باتباع هدى الله تعالى:

﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ [طه/١٢٣]، فمن استجاب لهدى الله تعالى أبدله الله مكان حياة الشقاء حياة النعيم والطمأنينة والسكينة والسعادة.

قال الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة** ﴾ [النحل/٩٧]، وقال: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ [فصلت/٣٠، ٣١].

أيها المؤمن الكريم .. أنت فى أمان من الشقاء باتباعك لهدى الله تعالى.. فالشقاء ثمرة للضلال ولو كان صاحبه غارقاً فى المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة، شقوة فى الدنيا وشقوة فى الآخرة، وما من متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وتَخَبُّط فى القلق والحيرة ولو كان مُقْتَرِفُه فى قمة متاع دنيا الناس .. ولا ينبغى أن نغفل الشقوة الكبرى يوم القيامة

لأهل الكفر والشرك والعصيان..

أما من اتبع هدى الله تعالى فهو فى نجاة من الضلال والشقاء فى الدنيا وفى الآخرة.

*** اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء ومن خيبة الرجاء ومن زوال النعمة وفجأة النقمة..**

اللهم تولنا وارض عنا، والحمد لله رب العالمين.

فى رحاب العبودية

قلوب الغافلين سيطر عليها حب الدنيا فأفسدها وانتكس بها من سمو العبادة وطهرها إلى حضيض الشواغل والأهواء.

فأنت تجد إنسانًا همه وكل همه المنصب وما يؤدى إليه بحلال أم حرام .. مثل هذا تحركه كلمات الثناء فرحًا، وتغضبه كلمات الذم، أو أن ينادى باسمه مجردًا من الألقاب، أو أن يذكر أمامه من يفضله فى عمله وفنه الذى يشتغل به، أو أن يلفت نظره إلى نقص عنده أو خلل فى عمله.

وهذا صنف آخر من الناس قد استعبده المال يجمعه من حله ومن غير حله، فرحه ينمو بارتفاع رصيده من الأموال، وسعادته تزداد بسعة ممتلكاته.

وصنف آخر قد استعبدته النساء فهو صريع الحسناوات ينفق عليهن كل غال ونفيس ولو قيل له: أنفق ولو درهمًا

فى سبيل الله ؛ اقشعر بدنه وحوّل وجهه وولى مدبراً إلى شيطانه .

وهذا قليل من كثير وغيض من فيض، وكل صنف من هذه الأصناف قد استعبدهم الهوى واستبدت بهم الشواغل فتعلقت قلوبهم بغير ذكر الله تعالى .. لا يبالى أحدهم : صلى أو لم يصل، صلى فى جماعة أم صلى منفرداً، صلى وزكى أم لم يقم بتلك الفرائض .

ولا يخفى عليك أخى المؤمن أن المخلوقين كلهم عباد الله الأبرار منهم والفجار، الصالح والطالح، المؤمن والكافر .. الكل عبيد لله، وهو الله رب العالمين، وخالق العالمين، ورازق العالمين، لا رب غيره ولا مالك سواه، سواء اعترف الخلق بذلك أم أنكروا، سواء علم الخلق أم جهلوا، وتلك عبودية قسرية قهرية تتمثل فى كون الله الواسع الخاضع لأمر الله من سننه الكونية التى تضبط أمر الخلق ولها يخضع كل الخلق عامة .

أما العبودية التى يدعونا القرآن للتحلى بها ويرشدنا إليها أعبد خلق الله لله سيدنا محمد ﷺ فهى عبودية الطاعة لله عن رغبة ومحبة لا عن قهر وسطوة.

تلك العبودية .. عبودية الطاعة هى التى توالى ذكرها عبر آيات كثيرة فى مواطن مختلفة من القرآن الكريم. وتأمل معى حديث القرآن عن العبودية كغاية خلق الله من أجلها الخلق، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات/ ٥٦].

والحمد لله رب العالمين

تسـليم

دنيا الناس تطالعنا كل يوم بجديد من أمور الحضارة التى ارتقت بما فى أيدى الناس من أسباب ووسائل، والمسلم إنما ينظر إلى هذه الأمور على أنها نِعَمٌ يَمُنُّ الله بها على البشرية، وتعامل المسلم مع هذه النعم يكون فى حدود ما أحل الله تبارك وتعالى، وليس من شأن المسلم أن يتحايل على شرع الله ؛ فليس لأحد أن يحلل أو يحرم إلا الله تبارك وتعالى، والرسول ﷺ مبين لما شرع الله من حلال وحرام.

ولأن يفعل المسلم الحرام على أنه حرام أخف ضرراً من أن يفعل المسلم الحرام ثم يلتمس طريقًا لتحليله، فهذا التحايل دليل على ضعف إيمانه وهوان دينه عليه، وهذه جرأة على دين الله عز وجل يبغضها الله تعالى ورسوله ﷺ، ولقد نهانا الله عن ذلك فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ [الحجرات/١] . أى : يا أيها الذين آمنوا

لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحاً لا فى خاصة أنفسكم ولا فى أمور الحياة من حولكم، ولا تقولوا فى أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله، ولا تقضوا فى أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله ﷺ .

فهو أدب نفسى مع الله ورسوله، وهو منهج فى التلقى والتنفيذ، وهو أصل من أصول التشريع، وهو منبثق من تقوى الله وراجع إليها، هذه التقوى النابعة من الإيمان بأن الله – جل وعلا – سميع عليم.

والقرآن الكريم يؤكد حقيقة يجب ألا تغيب عن المؤمن، وهى قداسة أمر الله تعالى؛ قال تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [الأعراف/ ٥٤] فكما تفرد الله بالخلق فقد تفرد بالأمر، من كان له شىء بعد ذلك فليقله، أى: لا شىء لأحد بعد ذلك.

والقرآن الكريم يوضح أنه ليس للمؤمن أمام أمر الله تعالى إلا الامتثال والطاعة؛ يقول الله تعالى :

﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر**

بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [النساء/٦٥]، ويقول سبحانه :﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾** [النور/ ٥١].

فالتسليم لحكم الرسول ﷺ الذى يقضى بأمر الله تعالى هو من أساسيات إيمان المؤمن، أى: أن أوامر الله تعالى ليست مواطن للجدل ولا مواضع للمناقشة ولا خيار لمؤمن فى أمر الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

عــز العبودية

من أشرف المنازل الإيمانية التى وصف الله بها الأنبياء منزلة العبودية لله تعالى، وقد وصف الله تعالى حبيبه ومصطفاه سيدنا محمداً ﷺ فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم بأنه عبدٌ لله، وبخاصة تلك المواضع التى تعبر عن عطاءات إلهية وفيوضات ربانية على سيدنا رسول الله ﷺ.

وإن كانت العبودية فى دنيا الناس - عبودية الإنسان للإنسان - مذلة وهوان، فإذا ذكرت كلمة العبودية اشمأزت القلوب ونفرت النفوس، فإن العبودية لله شرف وعزة للإنسان.

وذلك لأن العبودية لله تعالى عبودية تحرر الإنسان من كل ما سوى الله من وثنيات وطواغيت تغتال جوهر الإنسان وتسلبه كرامته، ولأن العبودية لله تصاحبها كل الفضائل والمكارم. وفرق بين عبودية بلال بن رباح لأمية، وعبودية بلال لله رب العالمين؛ عبودية بلال لأمية ضعف

وذلة وهوان، وعبودية بلال لله شرف وعزة.

تلك العبودية التى فاضت بها مشاعر القاضى عياض تعبيراً عن شعوره وشعور كل مؤمن نحو العبودية لله تعالى فقال:

ومما زادنى شرفًا وتيها
وكِدْتُ بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى
وأن صيَّرت أحمد لى نبيا

إن العبودية فى الإسلام منهج إلهى لتربية النفس البشرية، ولا سمو للإنسان ولا رقى لروحه إلا بمنهج الله عز وجل، وإلا فحدثنى بربك ماذا صنعت الحضارة الحديثة التى ارتقت بما فى أيدى الناس من وسائل وآلات بيد أنها عجزت كل العجز فى مجال الإنسان ولم تستطع أن ترقى بالإنسان نفسه حتى يكون أكثر إنسانية وأفضل سمواً فى أخلاقه ؟!

والواقع خـير شـاهد . . فكم من جـرائم تُرتكب: تعـذيب.. وقتل .. وتشريد .. وانتحار فى أعظم الدول حضارة !!.

فمتى نفسح المجال لمنهج الله عز وجل ليتحرر الإنسان من ذل العبودية للغرائز والأهواء إلى عز العبودية لله الواحد القهار؛ ليصبح الإنسان إنسانًا قيمته ليست فيما يملك من وسائل المتع والترف أو وسائل السيطرة والهيمنة.. إنما قيمته فى أخلاقه ومبادئه.

وساعـتهـا يكون هو الإنسـان الذى لا ينتظر منه إلا الخير، الإنسان الذى يشرف به الوجود وتسعد به الحياة الآمنة، ولن يتأتى ذلك إلا لعبد فهم حدود عبوديته لله.

والحمد لله رب العالمين

إن ربى رحيمٌ ودود

جرت عادة الناس فى دنيا الناس أن يتودد الأدنى إلى الأعلى؛ فيتودد الفقراء إلى الأغنياء، ويتودد أصحاب الحاجات إلى ذوى السلطان، ويتودد الضعيف إلى القوى، وهذا حال عامة الناس، أما الصالحون فيتوددون إلى الله عز وجل .

وأن يتودد العبد إلى خالقه ورازقه فهذا أدبٌ وشرع، أما أن يتودد الله الغنى الكبير المتعال القوى العزيز إلى عباده الفقراء - وكلنا إلى الله فقراء - فهذا منّة وفضل منه سبحانه، والله يتودد، يتحبب، يتحنّن إلى عباده بنعمه التى لا تعد ولا تحصى !! فيتودد إليهم بستره فلا يفضحهم فى الدنيا وإن صدقت توبتهم لا يفضحهم فى الآخرة . ويتودد إليهم بعفوه فلا يعاقبهم إذا تابوا وأنابوا إليه بل يغفر الزلات ويعفو عن كثير . لما قال سيدنا إبراهيم خليل الرحمن : يا كريم العفو يارب، قال له سيدنا جبريل : أتدرى ما كرم عفو الله يا خليل الرحمن ؟!

فقال سيدنا إبراهيم : الله أعلم . فأخبره سيدنا جبريل بقوله : إنه من كرم عفوه سبحانه وتعالى أنه إذا نظر إلى السيئة غفرها ثم أبدل مكانها حسنة، والله تعالى يقول فى القرآن فى شأن التائبين الصادقين فى توبتهم : ﴿ **فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الفرقان/ ٧٠] .

ومن وده سبحانه أنه يؤنس العبد التائب إليه ؛كى لا يقع فى شعور الألم والخجل من المخالفة والتقصير الذى بدر منه فى حق الله، فيؤنسه الله تعالى بكرمه وعفوه، وانظر إلى هذا النداء الودود للمقصرين والمسرفين فى حق الله، لقد أضافهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه ليوسع لهم باب الرجاء والأمل فى عفو الله ومغفرته، وذلك هو قوله سبحانه : ﴿ **قُل يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أسرَفُواْ عَلَى أنفُسِهِم لا تَقنَطُوامِن رَّحمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

ومن وده سبحانه فى يوم القيامة أنه يدنى عبده إليه كما ورد فى الحديث الصحيح فيقرره بذنوبه كلها ذنباً ذنباً حتى يظن العبد أنه قد هلك، حينئذ يقول الله عز وجل له: « عبدى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ولا أفضحك بين خلقى ». ومن وده سبحانه أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل. ومن وده سبحانه أن من أعرض وتولى عنه ناداه من قريب، ومن أقبل عليه تائبا تلقاه من بعيد، ومن وده سبحانه ألا يعجل العقوبة، بل جعل لمَلَك الحسنات سلطاناً على ملَك السيئات؛ فإذا اقترف العبد خطيئة أمر ملَكُ الحسنات ملَكَ السيئات أن ينتظر لعل العبد أن يستغفر وأن يتوب، فإذا تاب العبد كتبها ملك اليمين حسنة، وإلا كتبها ملك السيئات سيئة واحدة، فإن فعل العبد حسنة كتبها ملك اليمين عشر حسنات. ومن وده سبحانه ما ألقى فى قلب الأم والأب من مودة وحنان للأبناء. ومن وده سبحانه أن جعل بين الزوجين مودةً

ورحمة؛ قال تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم / ٢١] .

فكل ود بين العباد هو من وده سبحانه .

فسبحان الله الغفور الودود الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد، وكل هذه المعانى هى من فيض قول اللّه تعالى : **﴿ إن ربى رحيم ودود ﴾** [هود / ٩٠].

اللهم اجعلنا من أهل وُدِّكَ فى الدنيا والآخرة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين .

الطريق إلى نور الله

يقف المؤمن متأملاً الحقيقة النورانية فى الآية الكريمة ﴿ **الله نُورُ السموات والأرض** ﴾ [النور/٣٥] ، وتوضح آيات القرآن الكريم دلالات هذا النور، فالله نور السموات والأرض، نوَّرهما بالنور الحسى : بالشمس والقمر والنجوم، قال الله تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذى جَعَلَ فى السَّماء بُرُوجًا وجَعَلَ فِيها سِراجًا وقمرًا مُنيرًا** ﴾ [الفرقان/٦١] .

والله نور السموات والأرض نورهما بالنور المعنوى : بالكتب السماوية والرسل والأنبياء وأسباب الهداية التى أنعم الله بها على عباده، قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا** ﴾ [النساء/١٧٤]، ﴿ **قد جَاءَكُم من اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبين** ﴾ [المائدة/١٥] .

والسؤال الذى يطرح نفسه : ما السبيل إلى الفوز بنور الله ؟؟ والقرآن يجيبنا.. فتصف لنا الآيات الكريمة السبيل إلى الفوز بنور الله تعالى، ويأتى الإيمان بالله تعالى فى القمة، قال تعالى :

﴿ **اللهُ وَلي الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهمْ من الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور** ﴾ [البقرة/٢٥٧].

ثم يأتى العمل الصالح فى المرتبة الثانية، قال تعالى :

﴿ .. **ليُخرجَ الَّذين آمنُوا وَعَملُوا الصَّالحات من الظُّلُمات إلى النُّور** ﴾ [الطلاق/١١].

كما يشير القرآن الكريم إلى أن التقوى، ومتابعة الرسول ﷺ من أقوى السبل لتحصيل نور الله عز وجل، قال الله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا الله وآمنُوا برَسُوله يُؤْتكُم كفْلَيْنِ من رَحْمَته ويَجعَل لكمْ نُوراً تَمشونَ به** ﴾ [الحديد/٢٨].

والقرآن الكريم نفسه سبيل قويم لنور الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ **ألر كتابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لتُخْرِجَ النَّاس من الظُّلُمَات إلى النُّور بإذن رَبِّهم إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ [إبراهيم/١].

فإذا ما استجاب المؤمن والتزم هدى الله عز وجل واقتدى برسول الله ﷺ أنعم الله عليه من نوره.

ولنور الله ثمرات فى الدنيا والآخرة؛ فمن ثمراته فى الدنيا أنه ينقل الإنسان من حياة الحرمان والخسران إلى حياة النعيم والسكينة إلى الحياة بالمدلول الإيماني، قال تعالى :

﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وجعلنا له نوراً يمشى به فى النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام/١٢٢].

أما عن ثمرات نور الله فى يوم القيامة، فحسبنا أن نتأمل هذا الموقف الذى يعرضه القرآن ليرغب المؤمنين فيما عند الله تعالى من فضل؛ فيسارعون إلى الخيرات، قال تعالى : ﴿ ... يَومَ لا يُخزِى الله النَّبى والَّذين آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُم يَسْعَى بَيْنَ أَيْديهِمْ وبِأَيْمَانِهِم يَقُولُون رَبَّنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنا واغفرْ لَنا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير ﴾ [التحريم/٨].

وهذا هو التنوير الحقيقى، والخروج عنه خروج إلى الظلمة والضلال، وسبحان الله القائل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور ﴾ [النور/٤٠].

لذلك كان من دعائه ﷺ طلب نور الله تعالى ؛

فيقول ﷺ : «اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وعن يسارى نوراً ومن فوقى نوراً ومن تحتى نوراً، اللهم اجعلنى نوراً».

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المدلول الإيمانى للحياة

من الآيات القرآنية اللافتة للانتباه، تلك الآية التى توضح المدلول الإيمانى للحياة، وتؤكد الآية أن الواحد منا قد يتحرك ويتقلب فى دنيا الناس بين الشهرة، والمنصب، والجاه، والأموال.. وهو عند الله فى حكم الميت، فالمحروم من معرفة الله والإيمان به واتباع هديه والاقتداء بنبيه ﷺ ميت؛ قال الله تعالى : ﴿ **أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾ [الأنعام /١٢٢].

نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - لما أكرمه الله بالإيمان، وعبر القرآن عن هذا التحول فى حياة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بأنه تحول من الموت إلى الحياة.

فالحياة فى الإسلام تتجاوز الحدود الحسية المادية المرتبطة بالجسد من غذاء ورى وإيواء ونحو ذلك ليصل إلى

ما تتحقق به حياة القلوب من معرفة ربها والاستجابة لهديه، والاقتداء بنبيه ﷺ .

لهذا كانت المسارعة لفعل الخيرات وترك المنكرات والاستجابة لهدى الله ولسنة نبيه ﷺ .. من أقوى السبل لتحقيق معنى الحياة بالمدلول الإيماني لها ؛ قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

وفي الحديث : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » ؛ فالذاكر لله حي، والغافل عن ذكر الله ميت .

وبالاستجابة لله وللرسول يتحصل المؤمن على نعم لا يمكن أن يتحصل عليها بماديات الدنيا كلها؛ فلا يمكن لأمواله ولا لمنصبه ولا لشهرته أن تشتري السكينة للنفس، أو الطمأنينة للقلب، أو الهداية والتوفيق، أو حلاوة الإيمان .. ونحو ذلك من نعم يفيضها الله تعالى على من

أقبل عليه مؤمنًا به مستجيبًا لهديه .. قال الله تعالى : **﴿ من عمل صالحًا من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فلنُحيينَّه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾** [النحل/ ٩٧].

اللهم تولنا وارض عنا، وأحينا صالحين، وأمتنا صالحين، واحشرنا صالحين، والحمد لله رب العالمين.

الروح فى المقدمة

المتأمل لحياة البشر المعاصرة على المستوى العالمى يلاحظ أن أممًا كثيرة قد قطعت شوطًا كبيرًا من التغيير والتطور بواسطة التكنولوچيا، وتركز هذا التغيير وهذا التطور فى الجانب الاقتصادى، فقد توفر الفكر المادى على عملية الإشباع لملذات الإنسان وشهواته ورغباته المادية المختلفة.

ورغم تحقق الرخاء المادى لهذه الأمم فإن النتيجة لم تكن حسب ما هو منتظر.. حسب ما خططوا وظنوا، لم تسعد هذه الأمم، بل على العكس ظهرت فيها المشاكل النفسية والأمراض الجديدة التى لم تعرف من قبل، نتيجة لعملية الإشباع للغرائز الحيوانية، وأهل العلم والفكر فى هذه المجتمعات لا يغرهم هذا المظهر البراق الذى تبدو عليه أممهم، إذ هم يعلمون كم يُخْفِى هذا المظهر البراق وراءه من المتاعب والقلق الذى لا يمكن أن يقدره إلا من عاش فى هذه المجتمعات وخالط أهلها، حتى ليصدق عليها القول:

إنها مجتمعات في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب.

إن نظرة واحدة إلى إحصاءات الجريمة من قتل واغتصاب وسرقة وانتحار ؛ تؤكد هذه الحقيقة التي تتجلى لكل ذي نظرة منصفة.

ولئن كانت الحضارة المادية قد ارتقت بالجانب الاقتصادي وطورته بوهم إسعاد الإنسان ورفاهيته، وبناء المجتمع وتقدمه، فلقد أغفلت ركنًا ركينًا في هذا البناء ألا وهو البناء الداخلي : بناء الإنسان.

وقد أولى الإسلام هذا الركن اهتمامًا عظيمًا فكان تركيزه الشديد على التغيير والتقدم والتطور (داخليًا) بالمعنى الذهني والفكري والأخلاقي.

ونستطيع أن ندرك مغزى تركيز الإسلام على هذا الجانب إذا نظرنا إلى الإنسان وقد أحاطت به الهموم والمتاعب النفسية أنه مهما وضع في أماكن مترفة بالنعيم المتنوع، فإن أحزانه وهمومه ومتاعبه النفسية تسيطر عليه ولا تجعله ينعم أو يسعد بهذا النعيم المادي الذي يحيط

به؛ لأنه محاصر من داخله بهمومه ومتاعبه؛ لذلك يربط القرآن الكريم بين التغيير الخارجي والبناء الداخلي: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾ [الرعد / ١١].

لابد من تنقية الأتربة التي على العقل؛ بناء الإنسان أولاً، ثم تأتي الوسائل الاقتصادية في الدرجة الثانية؛ وذلك لأن الإنسان جسد وروح، وللجسد مطالب وللروح مطالب، ولم يصادر الإسلام مطالب الجسد لكنه نظمها وهذبها حتى لا تمثل عدوانًا على جانب الروح، ثم أولى الإسلام أهمية خاصة لجانب الروح ومطالبها إذ هي الجوهر والقيمة في الإنسان، وتحقيق هذا التكامل في حياة الإنسان الواقعية علامة صحية.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المشاعر فى رحاب الإيمان

اهتمام الإسلام بالإنسان لم يقف عند الحدود المادية المحسوسة، بل تجاوزها إلى الجوانب المعنوية . . والمتأمل للسُّنة النبوية المطهرة يجد الإشارة الواضحة فى حديث النبى ﷺ للعناية بالقلب؛ لأن مدار صلاح أفعال وحركات جوارح الجسد (أعضاء الجسد) تابع للقلب، يقول النبى ﷺ : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

لذلك اهتم الإسلام بما يجرى بالقلب من مشاعر : كالخوف والحزن والكره والحب . . ونحو ذلك . .

والإسلام لا يصادر العواطف، ولا يمنع المشاعر، وإنما يشكلها تشكيلاً إيمانيا لتكون وسيلة قرب إلى الله تعالى، بدلاً من أن تكون وسيلة للسيطرة الشيطانية على العبد . . حتى لا يقع العبد أسيراً لها حين ترتبط بحظوظ الدنيا وبالأهواء والشهوات؛ فلا نجنى من ورائها إلا ضياع العمر فى اللهو والضلال .

وتأمل معى هذا التحول الكريم الذى تُحدثه هدايات القرآن والسنة حين تُحَوِّل هذه المشاعر من الخلق إلى الخالق. فبشأن شعور الخوف يقول النبى ﷺ فيما رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل..ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة » .

وهكذا يوظف النبى ﷺ الخوف فى رحاب الإيمان ليصبح دافعا إلى المسارعة فى فعل الخيرات، وترْك المنكرات... ويكون دافعا للتخلى عن الخمول والكسل . والخوف شعور يرتبط بالمستقبل فى مقابل الحزن وارتباطه بالماضى، وقد وعد الله المؤمنين بحفظهم من كلا الشعورين فى الدنيا والآخرة، قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملآئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾[فصلت/ ٣٠] .

أما أن يتحول الخوف إلى لون من القنوط والاكتئاب فهذه ظاهرة مَرَضيَّة لابد من علاجها، لذلك كان حال المؤمنين بين الخوف والرجاء .

دخل النبى ﷺ على شاب يحتضر فقال له : « كيف أجدك ؟ » قال : أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى . فقال النبى ﷺ : « ما من عبد يكون هكذا إلا أمنه الله مما يخاف وأعطاه ما يرجو »

والمتأمل للعواطف والمشاعر فى الجانب الآخر وهو الفرح والسرور يجد أن الإسلام وجهها توجيها إيمانيا لتعود بالخير على صاحبها وتبنى فيه من القيم والإيمانيات ما يثيبه الله عليه خيراً .

فأنت ترى أن الله سبحانه ربط العيدين فى الإسلام بطاعتين عظيمتين؛ فعيد الفطر ارتبط بطاعة الصوم، وعيد الأضحى ارتبط بالحج والأضحية؛ ليتعلم المؤمن أن الفرح والسعادة لا ينالهما العبد إلا بطاعة الله، وإنجازها على الوجه الذى يرضى الله تعالى ؛ ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [يونس/٥٨] .

وهكذا يُرَبِّى فينا الإسلامُ عاطفة الامتثال لله تعالى .

والله المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

بابك مع اللـــه

حين تتأتّى الرغبة للإنسان لفعل الخيرات، قد يقف بعض الناس عاجزاً حين لا يجد مالاً ينفقه أو علماً يعلمه، أو شيئاً مما تعارف الناس عليه من وجوه الخير المشهورة، لكن سيدنا رسول الله ﷺ يصحح لنا ويرشدنا إلى كثرة أبواب الخير، وأنه إن عجز الإنسان عن باب من الخير فأمامه عشرات الأبواب والفرص التى يسَّرَها الله لكل راغب فى فعل الخيرات. وهذا ما يدلنا عليه حديث سيدنا رسول الله ﷺ ؛حين جاءه بعض الصحابة فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم.. فقال النبى ﷺ : «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة .. حتى قال ﷺ : «وفى بضع أحدكم صدقة ....» الحديث.

يضاف إلى هذا أن المتأمل للإجابات المتعددة والمتنوعة

عن سؤال واحد عُرض على النبى ﷺ بشأن أفضل الأعمال عند الله، يظهر لنا أن الأفضلية ترتبط بحال السائل، وأن الإجابة تنوعت حسب الاستطاعة والميسور للعبد والمناسب له.

فلكل عبد باب مع الله؛ فباب الزوجة مع الله حسن التبعُّل لزوجها وحسن تربية أولادها، وباب العالم أن يعلم الناس مخلصًا لله، وأن لا تأخذه فى الله لومة لائم، وباب التاجر الصدق والأمانة، حتى الخادم له باب مع الله وهو إخلاصه فى مال سيده، وأمانته تجعل له مثل أجر سيده مرتين ، والقاضى له باب مع الله تعالى وهو بذل كل جهده مخلصًا لربه؛ التماسًا للعدل فى الحكم بين الناس.... وهكذا لكل عبد بابه مع الله، وبابك هو ما أقامك الله فيه من عمل صالح فأَخْلِصْ فيه وأَتْقِنْ وأَحْسِنْ عملَك.. فإن ذلك يصلك بالله تعالى؛ فإن من أمسى كالاً متعبًا من عمل يده أمسى مغفوراً له.

وإذا وقف العبد على بابه مع الله فأحسنه وأخلص لربه

كـــان من أهل باب من أبواب الجنة ينادى عليــه من هذا الباب يوم القيامة .. بل هناك من أهل العزم فى الخيرات من ينادى من أكـثـر من باب من أبواب الجنة ؛ فـقـد ورد فى الحـديث أن لكل باب من أبواب الجنة أهلا ينادى عليـهم منه، فقال أبو بكر الصـديق : وهل هناك من ينادى عليـه من أكثر من باب؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعـم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر ».

اللهم تولنا وارض عنا ، والحمد لله رب العالمين .

آدم ... والعزيمة

كثيراً ما نَضع الخطط والبرامج ونحدد الأهداف والمقاصد ثم لا ننجح فى تنفيذها وينتابنا شعور بالفشل والتوتر والإحباط بعد كل مرة من المرات التى نحدد فيها طريق الخير ونرسم فيها منهج النجاح ولا نلتزم به؛ ومن الأمثلة العملية لذلك :

طالب يضع جدولاً لاستذكار دروسه ولا يلتزم به، وهذا آخر أخذ أكثر من قرار للإقلاع عن التدخين ولكنه عجز عن الوفاء بوعده لنفسه، وثالث عاهد نفسه على أن يواظب على الصلاة، وسريعاً وفجأة تعود الأمور إلى ما كانت عليه من خمول وكسل، ويفشل هذا ويخفق ذاك فلا يُنْجَزُ عملٌ ولا يُتَخلَّى عن سَلْبِيَّةٍ، ونظل أسرى لما نحن فيه من عادات خاطئة أو سلوكيات سيئة، وإن سألت هؤلاء عن أسباب الفشل والتخاذل التمسوا لأنفسهم الأعذار الواهية، فيعلل أحدهم فشله بالحظ السيئ ، وآخر يقول :

هذا قدرى. وثالث يقول: الظروف.. ونحو ذلك من أسباب غير حقيقية إنما هو الهروب من مواجهة وضعهم السيئ والعجز عن معالجته. وبشيء من التؤدة والمصارحة مع النفس يظهر لنا سبب جوهرى أساسى وراء فشل الإنسان فى الالتزام بعهوده ووعوده مع نفسه والآخرين وقبل ذلك مع رب العالمين، هذا السبب هو ضعف الإرادة أو بلغة القرآن الكريم ضعف العزيمة، ويسجل القرآن الكريم التجربة الأولى فى تاريخ البشرية حين واجه آدم أمر الله له وعهد الله له : أن يأكل من كل الثمار فى الجنة إلا شجرة واحدة، تمثل هذه الشجرة المحرمة المحظور الذى لابد منه؛ لتربية الإرادة وتأكيد العزيمة، والتحرر من رغبات النفس وشهواتها بالقدر الذى يحفظ للروح الإنسانية حرية الإنطلاق؛ فلا تستعبدها الشهوات ولا تقهرها الرغبات، وهذا هو مقياس الرقى الإنسانى فى الإسلام؛ فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها والتحكم فيها، كانت تلك النفس فى أعلى درجات الرقى البشرى، وهكذا صرح القرآن الكريم بالسبب الحقيقى

لفشل آدم عليه السلام في تجربته الأولى حين قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً** ﴾ [طه/١١٥].

ويقدم إلينا القرآن الكريم سبلاً لتقوية العزيمة :

أولها : الإيمان الصادق ؛ فحين يقتنع الإنسان ويؤمن بهدفه الذى يسعى إليه ، سيبذل فى سبيله كل الوسع والطاقة للوصول له؛ ولك أن تتأمل معى موقف هذا الصحابى فى صبيحة أول ليلة من عرسه كيف سارع إلى الجهاد لينال الشهادة، هل دفعه إلا الإيمان الحى فى قلبه؟!.

ثانيها : الاستعانة بالله عز وجل وعدم الوقوف عند نقطة الفشل يُبكى عليها ولا يفكر فى غيرها، ويتضح ذلك من قول النبى ﷺ : « **احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو كان كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل** ».

ثالثها : العلم حتى يتحرك المسلم على هدى وبصيرة؛ بعيداً عن العشوائية والتخبط،ومن هنا كانت الاستشارة لأهل الذكر كلٌ في علمه وفنه؛ لقوله تعالى :﴿ **فاسْألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [النحل/٤٣].

رابعها : العمل فلا ينتفع الإنسان بعلمه ما لم يعمل به، ولا شك أن البيئة الصالحة -من جماعة المؤمنين العابدين المخلصين- خير معين على العمل الصالح، وبركة القرآن لمن يعمل به.

خامسها : الصبر أثناء العمل، ومواجهة العقبات، ومن يتصبر يصبره الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ [البقرة/١٥٣].

وهذه العناصر السابقة هى معنى المجاهدة، التى بشر الله أهلها بأنهم واصلون لهدفهم محققون لغايتهم بمعونة الله وهديه حين قال جل شأنه: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ [العنكبوت/٦٩].

والحمد لله رب العالمين

الآن.. وليس غداً

أتأمل أيام العمر.. وكيف مضت، وإن كان عامة الناس يحسبون أعمارهم بالأيام والشهور والسنوات، فأهل الحكمة والصلاح يحسبون أعمارهم بقدر ما ينجزون فيها من أعمال عظيمة تنفع فى دنياهم، وخيرات يثابون عليها فى أخراهم .

والمتأمل لأيام العمر .. يجد أن كل مفقود يفقده الإنسان يتعلق بعودته أمل، إلا العمر ؛ فإنه إن مضى لا يعود أبداً... فكل لحظة حياة أنعم الله بها على الإنسان فرصة لإنجاز الخيرات وفعل الصالحات..

لكن ما الذى يعطل عمارة الأوقات ويؤخر إنجاز الأعمال النافعة فى الدين والدنيا ؟

المتأمل لواقع حياتنا المعاصرة يرى أنه فى قمة المعطلات تلك العادة التى استحكمت فينا - إلا من رحم ربى - إنها عادة التسويف والتأجيل لما يطلب إنجازه من أعمال لا لسبب سوى التراخى والتكاسل.. وتضيع آلاف

الساعات، وتفقد عشرات الأيام دون إنجاز عمل .. وأنت ترى وتسمع من يُؤجل فعل الخيرات أو ترك المنكرات إلى أيام قادمة .. كقولهم: من أول الشهر سأصلى .. من أول الأسبوع سأستذكر .. حين تتحسن الظروف سأقلع عن التدخين .. ومع التسويف تتأجل أعمال كثيرة فيها النفع فى الدنيا، وفيها الثواب فى الآخرة.

والقرآن الكريم ينقلنا من هذا التراخى والتسويف إلى الجدية والمبادرة لفعل الخيرات والمسارعة إلى الصالحات، قال الله تعالى :

﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعًا** ﴾ [البقرة / ١٤٨].

﴿ **وسارعوا إلى مغفرةٍ من رَبِّكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [آل عمران / ١٣٣].

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ [الجمعة / ٩].

ومن كانت حجته الانتظار حتى تتحسن الظروف،

فيكفيه هذا الجواب المقنع من رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: « بادروا بالأعمال سبعًا : هل تنتظرون إلاَّ فقرًا منسيًا، أو غنًى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مُفْندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجَّال فَشَرٌّ غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمرٌّ». وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ الفورية فى إنجاز الأعمال، ولا يخفى على مؤمن أن التسويف والتأجيل من وسائل الشيطان التى يفسد بها على العبد عمره .. وظروف الغد في علم الله، ومن يدرى لعل ظروف الزمن المقبل لا تكون خيرًا مما أنت فيه .

فاستفد بما بين يديك .. واستثمر الفرصة قبل أن تمضى ثم لا تعود أبدًا، وأنعم بها من نصيحة يكرمنا بها رسول الله ﷺ، فقد روى الحاكم أن النبى ﷺ قال : «اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

أخى المؤمن .. إن كنت جاداً فى سيرك إلى الله فاستعن بالله ولا تعجز .. وابدأ الآن .. وليس غداً ؛ فالغد ليس ملكًا لنا ..

أسأل الله العظيم أن يتولانا وأن يرضى عنا، والحمد لله رب العالمين.

الاجتهاد .. ورحلة المعرفة

فى رحلة المعرفة وسعى الإنسانية المثابر وجهادها المستمر نحوها، يأخذ اجتهاد العلماء دورًا بارزًا فى إزالة الأتربة الموجودة على العقل البشرى فى ضوء هدى القرآن الكريم وتمشيًا مع روح العلم، ومع كل جديد من اجتهاد العلماء يسعد أناس ويفزع آخرون، وبخاصة أولئك الذين وقعوا أسرى لما ألفوا من معارف قديمة موروثة، ولا يستطيعون أن يتعاملوا بعقول بكر صافية غير متأثرة بأرضية مبيتة، ولا مضغوطة بأى لون من التفكير.

ويشهد التاريخ على كثير من مواقف الرفض تجاه آراء جديدة، ثم بدا للرافضين مع الأيام أن أهل الجديد على صواب وأنهم ما تجاوزوا الحق أبدا.

وفرقٌ بين إنكار النصوص الكريمة من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية وبين الاختلاف مع الغير فى فهم هذه النصوص، فالاختلاف فى فهم النص فى إطار عدم إنكار

شىء مما هو معلوم من الدين بالضرورة أو الأخذ بظاهر النص أو بالتأويل المحمود، كل ذلك بعيد عن مصادرة الرأى أو إنكاره، وكما يقول ابن رجب الحنبلى: واجتمعت كلمة أهل العلم على أن المختلف فيه لا إنكار فيه.

وحين نختلف فينبغى أن يكون ذلك فى إطار الأدب النبوى: «ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء» والعلم حقائق يستدل عليها بالأدلة الصحيحة والشواهد الواضحة دون سب أو تجريح.

ولنا فى موقف النبى المصطفى ﷺ خير أسوة، وأفضل قدوة، وهو أخشانا لله وأتقانا له، فحين اختلف بعض أصحابه فى فهم قوله ﷺ حينما أمر مناديًا أن ينادى فى أصحابه: «من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة». وأدرك العصر الصحابة فى الطريق فأخذ بعضهم بظاهر النص ولم يصل، ولجأ البعض الآخر إلى التأويل، وهو من باب حرصهم على الصلاة أيضاً؛ لم يعنف رسول الله ﷺ أحداً منهم، ولم يرفض رأيًا من الرأيين، بل أجاز من

صلى فى الطريق ولجأ إلى التأويل، وكذلك أجاز من انتظر حتى صلى هناك عند بنى قريظة أخذاً بظاهر النص. وصلى الله على معلم الناس الخير حين قال: « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

وواقع علماء الأمة المحمدية - السلف الصالح - يشهد أن الاختلاف عندهم كان للوصول إلى الأفضل وإلى الحق والصواب؛ لذلك كانوا يختلفون فى الرأى والحب بينهم قائم، والمودة بينهم حاصلة. وكثيرة هى المسائل التى يمكن أن تكون أمثلة واضحة على هذه الحقيقة، من ذلك: اختلافهم فى فهم قوله تعالى: ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ [النساء/٤٣]، هل هو بمعنى الجماع أو بمعنى مجرد اللمس باليد ونحوها. واختلافهم فى فهم قوله تعالى: ﴿ **وامسحوا برءوسكم** ﴾ [المائدة/٦]، هل الباء للتبعيض فيكون الواجب مسح بعض الرأس، أم الباء للإلصاق فيكون الواجب مسح الرأس كلها . والحديث موصول إن شاء الله تعالى.

هدانا الله جميعًا إلى الحق والصواب، والحمد لله رب العالمين.

شفـــاء

من اللافت للانتباه استعمال القرآن الكريم كلمة شفاء دون كلمة علاج، قال الله تعالى: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ [الإسراء/ ٨٢] . فالعلاج لأى داء (حسى أو معنوى) قد يُوفق فيه المعالج فيتحقق الشفاء، وقد لا يُوفق المعالج فلا يتحقق الشفاء.

أما مع القرآن الكريم فأنت فى معية الله الشافى، ومن بين هدى القرآن الكريم الذى يشفى صدور قوم مؤمنين، تلك الآية التى أنزلها الله على رسوله سيدنا محمد ﷺ حين تعرض لحالة كثيراً ما نتعرض لها فى حياتنا المعاصرة، وهى حالة ضيق الصدر، بسبب تجاوزات اليهود والمشركين فى حق الله تعالى، حين قالوا - كما حكى القرآن عنهم- : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إنَّ الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ [آل عمران/ ١٨١] ، ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ [المائدة / ٦٤].

وغير ذلك من وصفهم لرسول الله ﷺ بالجنون وبأنه شاعر وكاهن ؛ فضاق صدر رسول الله ﷺ بكل ذلك، فأنزل الله تعالى عليه قوله : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون* فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين* واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[الحجر/ ٩٧ - ٩٩].

وهذه الآية أرشدت إلى ثلاثة أدوية لضيق الصدر، هي :

أولها : الإكثار من تسبيح الله وحمده؛ فمن دلالات التسبيح فى القرآن الكريم ارتباطه بالفَرَج، قال تعالى بشأن سيدنا يونس عليه السلام حين التقمه الحوت وصار فى ظلمات ثلاث : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون** ﴾ [الصافات/ ١٤٣، ١٤٤].

وهناك سِرٌّ بين ذكر الله تعالى وانشراح الصدر، وانبساط النفس، وقوة البدن، واستعادة نشاطه ؛ فعندما جاءت السيدة فاطمة -رضى الله عنها- لرسول الله ﷺ تطلب منه خادمًا يعينها على شئون البيت، قال لها

رسول الله ﷺ : «ألا أدلك على أفضل من ذلك ؟» قالت : بلى. فقال لها : «إذا أويت إلى فراشك فسبحى الله ثلاثًا وثلاثين، واحمديه ثلاثًا وثلاثين، وكبرى ثلاثًا وثلاثين »، ففعلت السيدة فاطمة -رضى الله عنها- ذلك فوجدت قوة فى بدنها واستغنت عن الخادم.

ثانيها : السجود بكل معانيه؛ سجود القلب، وسجود العقل، والصلاة .. فبالسجود يقترب الإنسان من ربه، ويرتفع عن عالم الأحقاد والضغائن .. فيكون للإنسان الساجد الطهر والنقاء. ومن هدى المصطفى ﷺ أنه إذا أَهَمَّهُ أمر نادى بلالاً : «أرحنا بها يا بلال»؛ أى : بالصلاة.

ثالثها : المداومة على الذكر والطاعة انتظاراً للحظة الرحيل عن دنيا الناس؛ فالمؤمن ليس بفارغ ليضيع وقته فى مشاحنة هذا وذاك، إنما هو مشغول بما هو أعلى وأغلى .. بلقاء ربه .. ساعة أن يأتيه اليقين، والمراد باليقين هنا فى هذه الآية : الموت.

وهكذا دلنا القرآن على التسبيح والسجود والمداومة

على الذكر والعبادة؛ انتظاراً للحظة الموت، كأدوية نتحصل بها على الشفاء من الله الشافي إذا أصابنا ضيق صدر من أحداث الحياة وضغوطها.

اللهم اشف صدورنا، والحمـــــد لله رب العالمين.

بين إرضاء الله والناس

مغريات كثيرة تغشى الناس بضيائها من بعيد، كمغريات المال والمنصب والشهرة والقوة، وغير ذلك من زينة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل . وكم من أناس انساقوا وراء هذه المغريات طلبًا لرضا الناس، وتحقيقًا للمصلحة المادية فكانت خسارتهم عظيمة، وفى قمة هذه الخسارة خسارتهم لرضا الله تعالى . والمؤمن الفطن إذا رأى نفسه متحيرة بين الله والناس جاهد نفسه وهواها واستعان بالله واستعاذ به، وعلم يقينا أن كل ما فاته دون الله تعالى فهو يسير وأن كل ما جاءه سوى الله فهو قليل ؛ يقوى هذا المعنى ويؤيده ما رواه الطبرانى عن جابر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال :

« من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه . ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه، وأرضى من أسخطه فى رضاه، حتى يزينه ويزين قوله وعمله » .

وإلى هذا المعنى تشير آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى :

﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ [التوبة/١٣].

وقوله تعالى : ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم** ﴾ [النساء/١٠٨].

ولنا أن نتأمل ونتدبر واقع حياة صحابة رسول الله ﷺ الذين تركوا أموالهم وديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، ماذا كانت النتيجة لموقفهم هذا ؟ لقد نصرهم الله، وأيدهم بجنده، وأعزهم بعزته، وعَطَّرَ الله ذكرهم في الدنيا والآخرة، وجعلهم مصابيح للناس في كل زمان ومكان . في المقابل نجد أن هناك الملايين من الناس اندثروا في التراب، فلا ذكر لهم ولا حظ لهم في الآخرة، بل وربما كان بعضهم – كالمنافقين – موضع لعنة إلى يوم القيامة .

يضاف إلى هذا أن إرضاء الجميع غاية مستحيلة، وليس مطلبًا لعاقل أبداً، لذلك لا ينبغي للإنسان أن يجعل

الناس أمامه فى المقدمة بل يجعل رضا الله تعالى هدفه ومقصده.

يقول سيدنا رسول الله ﷺ – فيما رواه الترمذى–: «لا يكن أحدكم إمَّعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت معهم، وإن أساءوا أسات معهم، ولكن وطِّنوا أنفسكم على تقوى الله وطاعته».

نعم.. لا ينبغى للإنسان العاقل أن يتلون ويتقلب مع تيار المصالح المادية، يصفق لكل قائم، ويتمسح بكل قوى، ويتساقط صريعًا على أعتاب المنافع الدنيا. لقد رفع النبى ﷺ بصائر المؤمنين إلى المنزلة العالية، إلى الإيمان بالله تعالى، فلا يصدر من المؤمن إلا ما وافق إيمانه.

والحمـــــد لله رب العالمين.

لحظة تأمل

في جلسة تأمل وتدبر لما حولنا من موجودات : شموس ونجوم وأقمار وسماوات، وبحار ومحيطات، وأشجار وثمار، وجبال ووديان، وطير وحيوان، وعوالم أخرى ليس للإنسان بها علم إلا ما أخبرنا به القرآن من ملائكة وجان.. وعوالم أخرى لا علم لنا بها، قال تعالى: ﴿ **وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمون** ﴾ [النحل /٨]. هذه المخلوقات على تنوعها وكثرتها يجمعنا بها أننا جميعًا مخلوقات لإله واحد قادر، خلقنا جميعًا بقدرته، ويدبر أمورنا بحكمته.

ثم يمتد التأمل إلى ملاحظة موقع الإنسان من بين هذه الموجودات التى أخبر القرآن الكريم عنها إجمالاً بأنها فى موكب الطاعة مسبحة خاشعة؛ قال تعالى :

﴿ **وإنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِه ولَكِنْ لا تَفْقَهُون تَسْبِيحَهُم** ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

والقرآن الكريم يوضح لنا موقع الإنسان بين الموجودات فى هذا الكون فى إطار استفهام تقريرى، يبين القرآن من

خلاله أن الكون كله منقاد لله تعالى طائع له، قال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّموات وَمن في الأَرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُوم والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وكثيرٌ من النَّاسِ وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْه العَذَابُ ومَنْ يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إن الله يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾** [الحج/١٨].

وفى الآية مقابلة بين معنيين؛ **الأول** : انقياد الكائنات كلها فى موكب السجود لله رب العالمين، **الثانى** : افتراق الإنسان فى مجال الإيمان والطاعة إلى فريقين : فريق فى موكب السجود والطاعة وفريق آخر تخلف عن هذا الموكب فوقع فى الضلال فحق عليه العذاب. واللافت للانتباه هنا أن الإنسان وحده بين كل هذه الكائنات هو الذى انقسم إلى فريقين.

لقد كرم الله الإنسان بين هذه الكائنات، فقال تعالى : **﴿ وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِى آدم وَحَملْنَاهُمْ فى البَرِّ والبَحْر ﴾** [الإسراء/٧٠].

ومن هذا التكريم ما توضحه الآيات من تسخير الله مخلوقات كثيرة للإنسان، قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [الجاثية /١٣].

وهذا التسخير للانتفاع بهذه النعم، وشكْر الله عليها، أما الخروج عن هذا الإطار فهو لون من العبث بهذه الكائنات.. إنه إفساد فى الكون لا يرضاه الله، بل ويعود على الإنسان فى الدنيا بالضرر البالغ، قال تعالى :

﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحرِ بما كَسَبَتْ أيدي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بعضَ الذي عَمِلُوا لَعَلَّهُم يَرْجِعُون** ﴾ [الروم /٤١].

ومن هنا يظهر للإنسان مدى جحوده حين يتخلف عن موكب التسبيح والسجود ويسعى فى الأرض فساداً، فى حين أن الكائنات من حوله التى سخرها الله له ساجدة مسبحة طائعة، وتكون على حالة من السخط على الإنسان الذى تخلف عن موكب الطاعة والسجود لله تعالى .. لكأنِّى بالأرض التى يجلس عليها العاصى المفسد تتأذى

منه، والطعام الذى يأكله العاصى يتأذى منه.. فضلاً عن سائر الكائنات التى تحيط بنا.

وفى الآية : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ وَما كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان / ٢٩].

اللهم رُدَّنا إلى الإيمان رَدًّا جميلاً، والحمد لله رب العالمين.

ليس ضعفاً ولا سلبية !!

بعض الشباب تدور برأسه أفكار، وتعتريه خواطر وتساؤلات من بينها : لماذا الصبر ؟ وبخاصة فى المواقف التى يكون فيها الإنسان على حق. لماذا لا نبطش ؟ لماذا لا ننتقم ؟ وما الحكمة فى الأمر القرآنى المتكرر بالتحلى بالصبر. ثم أليس الصبر موقفًا سلبيًا وضعفًا فى الشخصية؟! .. ونحو ذلك من تساؤلات وأفكار.

* أقول وبالله التوفيق :

أولاً : إن من أدب الإيمان أن نكون على يقين كامل بأن الله تعالى حكيم، وأمر الحكيم وفعله كله حكمة، وقد يعجز العقل البشرى عن إدراك هذه الحكمة لكنه يؤمن بها؛ لأن مرجعها إلى الله الحكيم الخبير البصير.

ثانيًا : إن نظرة الإسلام للصبر نظرة إيجابية؛ فالصبر الإيمانى قوة صامتة تمكن الإنسان من التحكم فى نفسه والسيطرة على نوازع الهوى ومغريات الدنيا .. إنه سمو

بمشاعر النفس لترتبط بتوجيه الله تعالى وتستجيب لأمره.. إنه طاقة إيمانية تُخَلِّصُ الإنسان من دوافع الانتقام والانكباب وراء الصيت والشهرة. ولنا خير أسوة وأفضل قدوة فى سيدنا رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل.

ونصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة توضح أبعاد نظرة الإسلام الإيجابية للصبر :

* فعن الصبر كقوة تسيطر على النفس ونوازعها، يقول النبى ﷺ :

« ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ».

* وعن الصبر كطاقة فى التحمل، يقول النبى ﷺ : « القابض على دينه كالقابض على جمر ».

* وعن الصبر كطاقة دافعة لنيل العلا وتحقيق الطموحات، يقول الله تعالى : ﴿ **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [فصلت/٣٥].

* وعن الصبر كلون من الثبات أمام الكوارث المفاجئة، يقول النبى ﷺ : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

ومن هنا يظهر لنا أن الصبر فضيلة لا يتأتى لضعفاء النفوس إدراكها؛ لأن ضعفاء النفوس ملكتهم أنفسهم، وسيطرت عليهم أهواؤهم، فأصبحت تصرفاتهم ردود فعل حمقاء ليس لها ضابط إلا إرضاء نفوسهم وغرورهم .

أما المؤمنون الصادقون فإنهم يملكون نفوسهم عند الغضب، ويثبتون أمام المحن والكوارث دون سخط أو ضجر ويتأدبون بأدب القرآن، قال الله تعالى :

﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة / ١٥٦، ١٥٧] .

وحسب الصابرين من الفضل أن الله جعل جزاءهم يوم القيامة بلا حدود، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر/ ١٠] .

والحمد لله رب العالمين .

من يصلح ما أفسدت ؟!

جاءني شاب في حالة اضطراب، حدثني والكلمات تهتز بين شفتيه، وقسمات وجهه تشارك في التعبير عن ضيقه والإعلان عن همه؛ عيناه حائرتان كأنهما لا تجدان شيئًا تستقر عليه أو تأمن إليه .. وهذا الاضطراب السطحي ما هو إلا صدى وتعبير عن هزة عنيفة داخل نفسه.. وأفاض بشكواه .. إنه وحيد معزول، وكثير من الناس يسيء الظن به.. يجرحونه بالكلمات ويقتلونه بالشائعات، ولا يدري لما لا يحبه الناس رغم أنه يحسن إليهم بالمال؟ ولماذا تفسد علاقاته بالناس ؟! فقلت له : مهلاً يا أخي، فحالتك هذه متكررة، والسبيل إلى إصلاح ما بينك وبين الناس ميسور إن شاء الله تعالى.

وحسبك أن تعيش في رحاب هدى المصطفى ﷺ حيث قال فيما رواه مسلم : «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فَأَحببه. فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه

فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إنى أبغض فلاناً، فأبغضه. فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً، فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء فى الأرض».

والآن قد وضح لك أن أصل المسألة بيد الله تعالى وفى محبته، فتعلق بحب الله واعمل من أجله، فإذا أصلحت ما بينك وبين الله أصلح الله ما بينك وبين الناس.

ولا تضع الدنيا فى المقدمة أمامك، وتؤخر أمر الله ومرضاته، وازهد فيما عند الناس من زينة الدنيا ولا تتطلع إليه؛ فالناس يحبون الذى يعطيهم ولا يحبون من يأخذ منهم، وفى الحديث : « ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

ولا تحسب يا أخى أن إغداقك المال وحده على الناس يجلب محبتهم لك، لا، بل ربما كان سبب لوم وخصام، حيث يتألم البعض أنك أعطيت هذا أكثر وهذا أقل،

أو أعطيت واحداً ومنعت آخر.. أو صدر منك لفظ جرح شعور واحد منهم .. ونحو ذلك، قال النبى ﷺ :

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ».

ولقد قدم القرآن الكريم رعاية المشاعر على نفع المال، فقال تعالى : ﴿ **قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى والله غَنىٌّ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة/٢٦٣].

وأمر الله سيد الخلق ﷺ بلزوم التواضع لإخوانه، قال تعالى : ﴿ **واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمنين** ﴾ [الشعراء/٢١٥]، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا من حَوْلِكَ فاعفُ عَنْهُم واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشَاوِرْهُم فى الأمْرِ** ﴾ [آل عمران/١٥٩].

والقاعدة الذهبية القرآنية التى لها فعل السحر فى تحويل العداوة والبغضاء إلى محبة وألفة، قول الله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بالتى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذى بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوةٌ كأَنَّهُ ولىٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت/٣٤].

اللهم أكرمنا وارض عنا، والحمد لله رب العالمين.

رسول الله ضيفك في رمضان

المتأمل للعبادات والشعائر التى افترضها الله على عباده المسلمين، تظهر له حقيقة هامة ؛ فالعبادات وإن اختلفت صورها (كالشهادتين، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج)؛ كل هذه العبادات تلتقى عند هدف واحد، هو : تحقيق معنى العبودية لله رب العالمين ؛ لذا تنهض هذه العبادات ببناء شخصية المسلم بناءً إيمانياً، يكون به العبد موضع رضا الله تعالى .

ولكل عبادة دور مؤثر فى البناء الإيمانى للإنسان :

* فنجد الشهادتين تبنيان العقيدة .

* الإخلاص لله تعالى؛ ليخرج العبد عن حظوظ نفسه والركون إلى الخلق إلى الإعتماد على الخالق .

* والتوكل على الله تعالى ؛ ليوقن العبد أن النافع والضار هو الله؛ ﴿ **قل إن الأمر كله لله** ﴾ [آل عمران/ ١٥٤] .

* وتأتى الصلاة لتصل العبد بربه، فتورثه الطمأنينة، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر .

* وتأتى الزكاة لتخلص العبد من البخل والشح والحرص، وتعلمه الجود والعطاء ابتغاء مرضاة الله تعالى .

* ويأتى الحج فيخلص الإنسان من أثقال الأوزار ليعود من حجه كيوم ولدته أمه .

* ويأتى دور عبادة الصوم لتمثل تربية إيمانية للنفوس على أرقى درجات السلوك الإسلامى الذى يصل بالإنسان إلى قمة إيمانية تحدثنا عنها الآيات ؛ قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة/ ١٨٣] .

وتحدثنا السنة النبوية المطهرة عن ثمرات أخرى للصوم، من ذلك قوله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه »

وغير ذلك من الثمرات التى أعطاها الله للصائمين؛ كشفاعة الصيام لصاحبه، وتخصيص باب للصائمين من بين أبواب الجنة .. إلخ .

كل هذه الثمرات تستوقف المؤمن لكى يسأل نفسه :

ما صفة الصوم الذى تتأتى به كل هذه الثمرات ؟ ما صفة الصوم الذى ننال به التقوى، والمغفرة ..؟ وتأتى الإجابة واضحة من الهادى البشير سيدنا محمد ﷺ، فيقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »، « إذا كان يومُ صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله، فليقل : إنى صائم ».

والمتأمل لجوهر الصوم يرى أنه امتناع عن الحلال من الطعام والشراب فترة من الوقت .. وكذلك شأن حلاله من النساء . أما الحرام فالامتناع عنه حاصل عند المؤمن فى رمضان وفى غير رمضان، فمن اقترف شيئاً مما حرم الله فقد أهدر حرمة الصوم.. ولم يفقه حقيقة الصوم .

وهكذا يظهر لنا أن الصوم الحقيقى الذى يُرجى له القبول عند الله تعالى .. ونتحصل به على ثمرة التقوى والمغفرة والشفاعة .. هو أن يصوم سمعك وبصرك وعقلك ولسانك .. مع البطن والفرج .

هذا ما دلنا عليه رسول الله .. وأرشدتنا إليه الآيات ..

وإنما يتذكر أولوا الألباب . فاحذر عبد الله أن يضيع وقت رمضان فى لهو يشغلك عن ذكر الله .. أو فى إثقال البطن ليلاً بألوان الطعام .. فتصاب بالخمول والكسل، ويخرج الشهر عن مقصده الذى حدده الله له .. ويحرم العبد فضل هذه الأيام .

وأطرح على نفسى وإياك أن تنظر فى شأنك فى رمضان، وتخيل أن سيدنا رسول الله ﷺ ضيفك فى رمضان فى ليل الشهر ونهاره ..

فماذا سيكون الطعام ؟ .. وعلى أى ترتيب ؟ .. ماذا ستقرأ أمام نبيك ﷺ ؟ .. ماذا ستشاهد ؟ .. ماذا ستستمع؟..

حسبك أن تتأسى بحال سيدنا رسول الله ﷺ فى رمضان ... قولاً وفعلاً.. حركة وسكونًا. وسيدنا النبى ﷺ فينا بسنته وهديه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

اللهم بنور رسول الله ﷺ نور قلوبنا ، وببركته أحسن ختامنا .

الصوم وإلفُ العادة

كثيرة هى النعم التى نعيشها فى كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية ،فيمد الواحد منا يده يأكل بها ويشرب، ويصافح بها ويتصدق، ويشير بها ويضرب، ويكتب بها ويرسم، ولا يشعر الواحد منا ولا يحس بهذه النعمة .. وهكذا كل جوارح الجسد، ولا سبب وراء غياب الإحساس بالنعمة هنا سوى إلف العادة الذى يمنع الإنسان من استشعار قيمة النعمة .. أو استشعار فضل الله من ورائها . فإذا أصيبت اليد مثلاً – نسأل الله العفو والعافية – استشعر الإنسان قيمة هذه النعمة . وهكذا يمنعنا إلف العادة من ملاحظة أو استشعار كثير من النعم، ولا ينتبه الإنسان ولا يفيق من الغفلة ولا يفلت من حاجز إلف العادة إلا بحصول شيء لافت للانتباه ومغاير لما ألفه الإنسان من عادات فى حياته .

وإن كان إلف العادة يُعد حجاباً ومانعاً من استشعار

كثير من نعم الله تعالى، فهو من جانب آخر يُعد عائقاً صعباً أمام التغلب على السلوكيات السيئة، أو الأفكار الفاسدة التى ألفها صاحبها وأصبحت جزءاً من حياته .

ويمكن ملاحظة تحكم إلف العادة فى الإنسان فى سلوك سلبى كعادة التدخين مثلاً ؛ فكم من مرة يعزم الإنسان على الإقلاع عن هذه العادة الضارة وتغلبه عادته . ويوضح ربنا سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم هذه الحقيقة، فيبين أن إلف العادة كان دافعاً قوياً للتمسك بعقيدة الآباء الفاسدة، قال تعالى :

﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ..** ﴾ [البقرة/ ١٧٠] .

ويأتى الصوم معالجة حكيمة لهذا الداء، حيث يعيش المؤمن أيام هذا الشهر الكريم بترتيب خاص يخالف ما كان عليه المؤمن قبل رمضان فى مطعمه ومشربه .. فى ذكره ودعائه، ويستمد ترتيب شهر رمضان قوة تأثيره من أعلى المصادر :

أولاً : التوفيق من الله تعالى، حيث إن الصوم ترتيب إلهى .. إنه عبادة . ويَمدُّ الله تعالى من سلك طريق عبادته بالمعونة والتوفيق، ويمنحه مزيداً من الهداية، ويحبب إليه الإيمان ويزينه فى قلبه .

ثانياً : روح الجماعة، فترتيب شهر الصوم لا يعيشه إنسان بمفرده، بل يعيشه مجتمع إيمانى كامل، الكل يشاركك فى الالتزام بهذا الترتيب؛ مما يمثل بيئة صالحة للتغلب على إلف العادة، ويمهد للرقى والتحول إلى الأفضل والأحسن، وروح الجماعة أيضاً تُقَوِّى من عزم الإنسان فى الالتزام بهدى الله المبارك خلال هذا الشهر المبارك، وهكذا نرى أن الصوم يخلصنا من الآثار السيئة لإلف العادة من جانب، ويمنحنا العزيمة كى نرقى إلى الأفضل والأحسن من جانب آخر، وسبحان الله القائل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة/١٨٣].

اللهم وفقنا لما تحب وترضى

إيمانيات وفد الله

المتأمل للعبادات التى شرعها الله عز وجل يرى أنها تنهض ببناء شخصية الإنسان بناءً إيمانيًا يتحقق به معنى العبودية لله رب العالمين.

وتأتى عبادة الحج تاجًا فوق رؤوس العبادات، فالمؤمن لا يؤدى هذه العبادة إلا بعد إقامة الفرائض الأخرى كالصلاة والزكاة والصيام.

وينعم المؤمن خلال مناسك الحج بإيمانيات وفيوضات يتجلى الله بها على عباده، بداية من ترك المؤمن لكل شيء من دنياه.. يترك أهله.. وماله.. وسلطانه.. ويخرج الإنسان من الحياة التى يألفها ويرتدى ملابس كأكفان الموتى. يسقط معها عن الإنسان المظاهر الزائفة التى نتعالى ونتفاخر بها ونتمايز فيما بيننا، فالكل فى زى موحد وهيئة واحدة ونداء واحد: لبيك اللهم لبيك، ليعلن العبد أن خروجه للحج امتثال لأمر الله سبحانه واستجابة لنداء خليل الله سيدنا إبراهيم :

﴿ وأَذِّنْ في الناس بالحج يأتوك رجـالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يأتِينَ من كُلِّ فَجٍّ عميق ﴾ [الحج/٢٧] .

ويأتى المؤمن الطواف وتقبيل الحجر تعظيمًا لأمر الله تعالى، وطاعة له سبحانه. فمرة يقبل حجرًا، ومرة أخرى يرمى حجرًا (عند رمى الجمار)، سبحان الله.. حجر يُرمى وحجر يُقبّل.. والأمر فى الحالين هو التعظيم والامتثال لأمر الله تعالى.

وهناك فى عرفة تكون قمة التجليات الإلهية والفيوضات الربانية.. وأولها التجلى بالمغفرة والرحمة.

ومع التقلب بين الأماكن المقدسة لإقامة مناسك الحج تعود بنا الذكريات إلى ارتباط هذه المناسك وهذه الأماكن بمواقف إيمانية لسيدنا إبراهيم، وسيدنا إسماعيل، والسيدة هاجر عليهم السلام ؛ لنتعلم أن طاعة الله عز وجل غالية.. وأن أوامر الله أغلى من الأهل والولد والنفس...

وأن الله إذا أقامك فى مكان فلن يضيعك فيه مهما عجزت الأسباب، وأنه ينبغى على المؤمن أن يتعلم السعى وأن يترك النتائج على الله؛ لأن فعل السبب طاعة لأنك

مأمور به، وترك السبب معصية؛ لأنك تركت ما أمرت به، والاعتماد على السبب شرك بالله تعالى، لكن المؤمن يكون اعتماده على مسبب الأسباب على الله رب العالمين.

ونتعلم التسليم لأوامر الله تعالى، ولا نأخذ الأمور الشرعية بمقياس العقل؛ فسيدنا عمر -رضي الله عنه- لما جاء يقبل الحجر، قال: والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع.. ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك..

ومع كل عبادة .. إن وقف العقل يسأل عن الحكمة منها.. فيكفي المؤمن الحكمة الغالية العالية وراء كل نسك وكل عبادة.. هذه الحكمة هي أن الله أمر بذلك، والمؤمن مع أمر الله يقول: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

اللهم ارزقنا فيما بقي من العمر حجًّا مبروراً وعمرة متقبلة يارب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

إحرام القلب

الناظر لأركان العبادات : من صلاة وصيام وزكاة وحج يرى أنَّ كلمة الفقهاء قد اجتمعت على أن أول ركن بسائر العبادات هو النية، فبها يتحول العمل من إطار العادة إلى إطار العبادة لله تعالى .

فالعمل يتحدد تصنيفه حسب النية؛ لقول سيدنا رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .. الحديث، وبشأن عبادة الحج يبدأ المؤمن بأول ركن من أركانها وهو الإحرام، ولا يعنى الإحرام لبس ملابس الإحرام، فملابس الإحرام من واجبات الإحرام وليست هى الإحرام .. وإنما الإحرام هو نية النسك .. نية العبادة .. وهذا يعنى أن البداية فى الحج تكون بإحرام القلب لله تعالى؛ حين يخلع المؤمن عن قلبه كل المقاصد والأهواء التى ترتبط بالدنيا من خلال هذه العبادة، ويخلص القصد والتوجه لله تعالى ؛ ينال ثواب الله تعالى الذى وعد به حجاج بيته الحرام؛ لقول النبى ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

ومن آداب إحرام القلب : الخشوع والتواضع لله تعالى، وترك التعالى أو التفاخر، وأسوتنا فى ذلك وقدوتنا سيدنا رسول الله ﷺ ، فحين عزم على الحج ﷺ جهز راحلته برحل بسيط يسير، فعرضوا عليه أن يجهزوا له ما هو أفضل من ذلك فقال : لا. ودعا : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة » ثم دعا رسول الله ﷺ يطلب التيسير من الله تعالى ؛ فقال : « اللهم يسر لى » .

ولقد ألغى القرآن الكريم الامتيازات التى كانت لأئمة قريش فى الحج ؛ فقد كانوا يعتبرون أنفسهم أهل الحرم، فكانوا يفيضون من عرفات قبل الناس ويقفون بالمزدلفة ومازال سائر العرب وقوفاً بعرفات؛ فنزل القرآن الكريم يبطل محاولة التميز عن الناس حتى ولو كانت لأهل الحرم.. لقريش؛ قال الله تعالى: ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ [البقرة/١٩٩].

وقال النبى ﷺ فى خطبة الوداع : « .. كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فعلام التمايز؟! وفيما التفاخر أو التعالى؟! إن الذى يضعك فى

المقدمة عند الله تعالى ويجعلك كريماً على الله تعالى شيءٌ واحد.. إنه التقوى، أما الأحساب والأنساب فلا مكان لها فى هذا السياق.

وقد يقع فى قلب بعض العابدين الذين يتابعون بين الحج والعمرة أن لهم مزية على من سواهم ممن يخطون على أول الطريق إلى الله تعالى، وهذا خاطر مردود، فمن يدرى أن الله قد تقبل منهم؛ فالقبول على الله تعالى وحده.

ومن أدب إحرام القلب: عدم الاشتغال بغير الله تعالى، وليستحِ العبد أن يطلع الله على قلبه وهو بداخل الحرم فيراه مشغولاً بشئ سواه. فحضور القلب كل المناسك، والاشتغال بتذكر فضل الله تعالى من علامات التوفيق للعبد فى حجه.

وإحرام القلب الخاشع، وانصرافه عن الشواغل والموانع والمعطلات يجعله ينعم فى معية الله الكريم الودود، وينال من وعد الله فى القرآن للقلوب الخاشعة؛ لقول الله تعالى:

﴿ **هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾ [الفتح/٤].

ولقوله سبحانه: ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾ [الحجرات/ ٧].

إنها بركات الله ومغفرته يمنحها لكل قلب أناب إليه وخضع له .. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

عرفات.. الزمان.. والمكان

لقد كان فى قصد الله ومشيئته أن يفضل بعض الأوقات على بعض ؛ ليحرك إحساس المؤمن بنعمة الزمن، إذ اختلاف الأشياء وتنوعها عامل من عوامل لفت الانتباه إلى هذه الأشياء وقيمتها.

وتتفاضل الأوقات بما ترتبط به من أحداث فاضلة، أو رحمة ومغفرة من الله تعالى، ومن الأوقات التى شرفها رب العالمين: يوم عرفة.

وفى القمة نجد أن الله شرف هذا اليوم فجعله ركناً من أركان الحج؛ لقوله ﷺ : «الحج عرفة» يضاف إلى هذا جملة من الأحداث المهمة ارتبطت بهذا اليوم المبارك ؛ فيوم عرفة هو ميلاد خلافة البشرية على سطح هذه الأرض؛ ففيه التقى آدم بحواء وتعارفا.

وفى هذا اليوم المبارك ينال الذكر والدعاء فضيلة عظيمة، لقول النبى ﷺ : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير».

ويضيف رسول الله ﷺ : « ما من يوم أكثر عتيقاً من يوم عرفة ». وهذا ما يدفع الشيطان إلى أن يشتد غيظه لما يرى من سعة رحمة الله عز وجل ؛ لقول رسول الله ﷺ : « ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ».

وقد يظن البعض أن فضل هذا اليوم خاص بحجاج بيت الله الحرام.. ومثل هذا الخاطر راود صحابة رسول الله ﷺ ؛ لكن ما رواه أبو داود عن ابن عمر -رضى الله عنهما- يمثل بشرى لكل مؤمن ؛ قال النبى ﷺ : « إذا كان يومُ عرفة لم يبق أحدٌ فى قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان إلا غَفَرَ الله له، قيل له : أَللمُعَرِّف - أى الواقف بعرفة- خاصة أم للناس عامة؟ قال : بل للناس عامة ».

هذا عن عرفات الزمان، أما عن عرفات المكان فتحمل ساحة عرفات المباركة جملة من الأحداث الإيمانية : ففى ساحة عرفات عرف آدم ذنبه وعرف طريق التوبة، حيث قالت الملائكة له بعد نزوله إلى الأرض فى ساحة عرفات : اعترف بذنبك وتب إلى ربك. فقال آدم وزوجه كما جاء

في القـــرآن :﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [الأعراف /٢٣].

وفى ساحة عرفات جلس خليل الله إبراهيم - عليه السلام - يتروى أى يتمهل بعد أن رأى أنه يذبح ولده إسماعيل، حتى تأكد أنها حق .

وفى ساحة عرفات تعلم خليل الله إبراهيم عليه السلام مناسك الحج بواسطة جبريل - عليه السلام - .

وفى ساحة عرفات وقف النبى ﷺ يخطب خطبة الوداع للأمة كلها .

ويقف الحجاج من الأمة المحمدية كل عام فى ساحة عرفات يتضرعون إلى الله تعالى، وساحة عرفات هى المكان الوحيد من أماكن الحج الذى يجتمع فيه كل الحجاج فى وقت واحد، يسألون الله الرحمة والمغفرة .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وتولنا وارض عنا، وأفض علينا من بركات عرفات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

سكــوت الغضــب

رأيتُ إنســانًا عــزيزًا عليَّ تعــرض لموقفٍ اســتــفــزازى مفاجئ من أهل الكيد وأصحاب الغيظ، فتغيرت حالته من الهـدوء إلى الانفـعـال؛ لقـد احـمـر وجـهـه وبرزت عـيناه وانتفخت أوداجه، وتلاحقت أنفاسه وصار كالبركان الثائر لحظة انفجاره .. وفقد السيطرة على أقواله وأفعاله.. وهذه حالة كثيراً ما نقع فيـهـا .. واستـمـرار هذه الحالة تعرض الإنسان لمخاطر جسيـمـة من ارتكاب ذنوب وأوزار بسبب انتقامه وبطشه، أيضًا لهذه الحالة مخاطرها الصحية التى يتعـرض لهـا من انفـجـار الشـرايين والجلطة الدموية وزيادة الضغط ... وكثير من الأمراض التى ترتبط بهذه الحالة ..

وكم أقف متأملاً التعبير القرآنى بشأن سيدنا موسى عليـه السـلام ﴿ .. **ولما سكت عن مـوسى الغـضب** ﴾ [الأعــراف/ ١٥٤] ، وهو يظهر سيطرة انفعال الغضب على الإنسان ... وكيف يعود الإنسان إلى توازنه وقدرته على التصرف بحكمة حين يسكت عنه الغضب.

ومما يصرف الغضب عن الإنسان: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ [الأعراف/٢٠٠]. فالإنسان الغاضب عندما يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فإنما يعتصم بعظمة الله سبحانه ويستحضرها فى نفسه.

وقد رأى رسول الله ﷺ إنسانًا غاضبًا فأرشده كيف يعالج غضبه؛ فعن سليمان بن صُرد أنه قال: استب رجلان عند النبى ﷺ، فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّى لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذى يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» رواه أبو داود.

وقدَّم الرسول علاجًا للغاضب وهو أن يغير حاله إلى حالة أخرى، وفى ذلك شغل له وانصراف -ولو يسير- عن ما هو فيه من غضب؛ فعن أبى ذر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع». رواه أحمد وأبو داود وابن حبان.

وقد تبين أن الجلوس أو الاضطجاع فى حالة الغضب يؤديان إلى استرخاء البدن، كما أن الجلوس والاضطجاع يقاومان ميل الإنسان إلى العدوان، كما أنه فى تغيير الحالة إشارة عظيمة من النبى ﷺ إلى وسيلة الحركة كى يتخلص الإنسان من الطاقة الزائدة التى تولدت عند الغاضب بسبب الانفعال الحاد الذى أحدثته ثورة الغضب.

ومن علاج الرسول لثورة الغضب: الوضوء؛ حيث إن ثورة الغضب تتسبب فى فوران الدم وحرارة الجسم، فإذا توضأ الغاضب برد جسمه وهدأت ثورته وخفَّت انفعالاته، فيعود بإذن الله إلى وضعه الطبيعى؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».
رواه احمد وابو داود.

وصلى الله على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

عبر ودروس لا تمحوها الأيام

فى حياة الأمم أحداث عظيمة لا تمحوها الأيام ولا تنال منها الأزمان، بل تعود إليها الأجيال لتستمد منها أسباب النصر والقوة، وأسباب النجاح والفلاح. ولقد علمنا القرآن الكريم هذا السلوك الإيجابى نحو الأحداث العظيمة فى تاريخ الأمة، ويظهر ذلك واضحًا فى آية الهجرة، التى يقول الله تعالى فيها :

﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ... ﴾ [التوبة/ ٤٠] .

هذه الآية التى تتعلق بهجرة سيدنا رسول الله ﷺ لم تنزل مواكبة لأحداث الهجرة، ولا نزلت بعدها بقليل، بل نزلت بعد الهجرة بأمدٍ طويل، نزلت بعد الهجرة بتسع سنين؛ استرجاعًا لعبر ودروس غالية، وكان المسلمون فى حاجة شديدة إلى هذا الدعم المعنوى الإلهى فى هذا الوقت، كانوا فى حاجة إلى تذكيرهم بحقيقة هامة فى

المعركة الدائمة بين الخير والشر، ألا وهى أن النصر من عند الله عز وجل.

وكان ذلك حين قرر النبى ﷺ محاربة الروم والتصدى لهم وهم يمثلون آنذاك القوة الأولى فى العالم، وأغراهم ذلك بمطاردة الدعاة الإسلاميين ومنعهم من البلاغ، فلما قرر النبى ﷺ محاربتهم، قال بعضهم: أنى لنا مقاومة هذه الدولة العظمى ؟ ما لنا طاقة بهؤلاء! وتثاقلوا عن الخروج.

فأنزل الله آية الهجرة تذكرهم بفضل الله ونصره، وتستأصل روح الهزيمة من نفوسهم، وتقطع دابر الضعف فى قلوبهم، وتطالب المؤمنين بالمسارعة إلى الجهاد فى سبيل الله مع رسول الله ﷺ.

ومن أهم الأحداث العظيمة فى حياة أمتنا الإسلامية غزوة بدر الكبرى، والتى تمثل أول مواجهة جادة بين الحق والباطل، بين معسكر الشرك والكفر، ومعسكر الإيمان، وما من شك فى حاجة الأمة إلى استرجاع هذه الأمجاد؛ لتقف منها على عوامل النجاح وأسباب النصر، ولتملأ قلوب أبنائها بالأمل فى انتصار الحق.

ومن أغلى الدروس والعبر التى أشارت إليها آيات القرآن بشأن نصر بدر، قول الله تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين** ﴾ [الأنفال/ ٩] .

وهذا لون من التأييد الإلهى للمؤمنين الذين استشعروا قلة عددهم أمام الكثرة العددية للكافرين، وربما يفتن البعض بنزول الملائكة وينسب النصر إليهم.. ويربط النصر بهم .. فيبين الله تعالى أن نزول الملائكة لم يكن إلا بشرى من الله تعالى.. أما النصر فهو من عند الله؛ قال تعالى : ﴿ **وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [الأنفال/ ١٠] .

نعم ..حين تبذل الأمة ما فى وسعها وطاقتها من الاستعداد؛ عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [الأنفال/ ٦٠]؛ **فإن الله تعالى يتولى ما عجزت عنه قوتنا وقصرت عنه أسلحتنا ولا يزال بالحدث فيض من دروس وعبر تنفع المؤمنين.**

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ

والحمد لله رب العالمين.

الهجرة إلى الله

لقد جعل الله تعالى قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء، فوق المال والأهل والوطن، فلا قيمة للأرض والوطن والمال إذا كانت العقيدة مهددةً وشعائر الدين مهددة بالحرب والزوال.

لذا فرض الله على عباده أن يُضَحُّوا بكل ذلك إذا اقتضى الأمر فى سبيل إقامة الدين والاستجابة لأوامر الله عز وجلَّ.

كان يمكن أن تتم الهجرة فى أقل من لمح البصر، فماذا تساوى المسافة بين مكة والمدينة إذا ما قورنت بالمسافة بين مكة والمسجد الأقصى فى رحلة الإسراء، أو المسافة بين المسجد الأقصى والسماوات العلى فى رحلة المعراج؟ لكنَّ ربَّك - سبحانه وتعالى- أراد أن لا يحرمنا القدوة فى حياة وسلوك النبى ﷺ حين أجرى الهجرة على مجرى الأسباب وفق سنن الله الكونية، فاجتمع - فى الهجرة- الإيمان مع الأسباب؛ كى نتعلم الدرس.. درس أن الأخذ بالأسباب لا يتعارض مع الإيمان، بل إن إحسان وإتقان الأسباب من

الاستجابة لأوامر الله تعالى، وأن حقيقة التوكل على الله هى فى الجمع بينهما. ففعل السبب طاعة، وترك السبب معصية، والاعتماد على السبب شركٌ بالله تعالى.

يجب أن نعلم أن فعل النبى ﷺ فى الهجرة فيه جانبٌ تشريعى للأمة، فلقد أخذ النبى ﷺ بكل الأسباب والاحتياطات التى ينبغى أن يصنعها من أراد هذا الأمر: الدليل، الراحلة، الرفيق، الزاد، من يأتى بالأخبار، مَن يمحو أثر الأقدام، مَن يؤدى الأمانات، مخالفة الطريق، .. إلخ.

ومع الأخذ بكل هذه الاحتياطات، لم يكن اعتماد النبى ﷺ على واحد منها، بل كان اعتماده على ربه، وحينما سأله أبو بكر فى الغار: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا! قال له النبى ﷺ : «لا تحزن؛ إن الله معنا».

إنَّ اعتماده ﷺ على توفيق ربه وعناية ربه وحفظ مولاه.. لقد أخذ بالأسباب طاعة لله؛ لنفعل الأسباب، لأن فعلها طاعة، والنتائج على الله عز وجل، والعطاء من الله تعالى قد يكون بالسبب الذى اجتهدت فيه أو بغيره:

﴿ ..**ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره** ﴾ [الطلاق/٢، ٣]، فالمخرج من تدبير الله تعالى .

وحسبنا أن نتأمل هذه الأحداث الإيمانية فى رحاب الهجرة :

١ – خروج النبى ﷺ من حجرته ليلاً وهو يتلو قول الله عزَّ وجل: ﴿ **وجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم سدًّا ومِنْ خَلْفِهِم سدًّا فَأَغْشَيْنَاهُم فَهُم لا يُبصِرُون** ﴾ [يس/٩]، ونثر التراب فوق رؤوسهم.. آية واحدة كان لها هذا الأثر؛ فبركة القرآن يمنحها الله لمن يعمل بالقرآن .

٢ – كيف نام أربعون رجلاً من الشباب فى لحظة واحدة؟! إنها قدرة الله عزَّ وجل .

٣– النبىُّ فى الغار يطمئن أبا بكرٍ –رضى الله عنه– بقوله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » .

كيف نتحصل على معية الله تعالى؟ . الإجابة فى قوله تعالى: ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ [محمد/٧]، ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾[الحشر/١٩].

ومن أين لنا قوة الإرادة والثبات الذى أدرك النبى ﷺ فى هذا الموقف ؟

الإجابة فى قوله ﷺ : « لا يكن أحدكم إمَّعةً يقول : إن أحسنَ الناس أحسنتُ وإن أساء الناس أسأتُ، ولكن وطِّنُوا أنفسكم على تقوى الله عز وجل، إن أحسن الناس أن تُحْسِنُوا، وإن أساء الناس أن تُحسِنُوا » .

٤ – موقف سراقة بن مالك، أقبل على النبى عدوًّا، وأدبر عنه نصيرًا ومدافعًا عنه ﷺ . كن مع الله يكن الله معك، ساعتها تتحول الأمور– بقدرة الله تعالى– لنصرة الحق وتأييده.

٥ – فى المدينة تحول دور المهاجرين إلى المشاركة فى نصرة دين الله تعالى؛ فللبيئة دورها فى الدعوة إلى الله. لقد خرج النبىُّ ﷺ من مكة – وهى وطنه وأحبُّ بلاد الله إليه –قاصداً بيئة صالحةً لغرس الإيمان، بعد أن لاقى العنت والأذى من أهل مكة، ثم لم تثمر الدعوة ثمارها المرجوَّة، فقصد المدينة فراراً بدين الله، وشاء اللهُ أن ينصر الإسلام وسُمِّيَ أهل المدينة بالأنصار.

أرجوك اشرب هذا الدواء

في حفل رياضي كبير حضره جمع غفير من الناس، طلب أحد المتحدثين النابهين أن يلقى كلمة فى هذا الحفل.. وكان المتحدث بليغًا فأجاد وأحسن الحديث عن فن السباحة، فجذب انتباه الحاضرين ونال إعجابهم، ومن شدة إعجاب السباحين الحاضرين هرع أحدهم إلى الأستاذ المتحدث وهمس فى أذنه : يظهر أن الأستاذ كان سباحًا ماهرًا فى شبابه .. وكانت المفاجأة !

إن الأستاذ لم يسبح مسافة متر واحد طيلة حياته !

من اليسير أن تتحدث عن السباحة .. لكن الحديث عن السباحة ليس كفيلاً بأن يجعلك سباحًا ماهرًا.. فالعلم أيسر من العمل، سهل أن تتحدث عن الفضيلة، لكن الحديث عن الفضيلة وحده لا يجعلك فاضلاً.. فهذا أمر يحتاج لمجاهدة نفس وتربية وتزكية والتزام.

هذا المعنى .. يظهر حقيقة هامة، يؤكدها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .. وهذه الحقيقة الهامة يمكن أن تصل إلينا سويًّا من خلال التأمل المتأنى للآيات القرآنية التالية :

*﴿ **ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ [البقرة/ ١ ،٢].

*﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ [الإسراء/ ٨٢].

* ﴿ **هدى وبشرى للمؤمنين** ﴾ [النمل/ ٢].

وهذه الآيات الكريمة « أثبتت للقرآن الكريم الأوصاف التالية : أنه هدى، أنه شفاء، أنه رحمة، أنه بشرى ».

ومن نصوص السنة النبوية نتأمل قول النبى ﷺ : « ستكون فتن »، قيل : ما المخرج منها يا رسول الله ؟

قال : « كتاب الله، فيه نبأ ما بعدكم، وخبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم ». رواه الترمذى عن على -رضى الله عنه- باب : ما جاء فى فضل القرآن.

وهنا يثبت الرسول ﷺ للقرآن وصفًا آخر بالإضافة إلى الأوصاف السابقة هو أنه المخرج من الفتن.

والسؤال الآن : كيف يتأتى لنا أن ننال هذه البركات (الهداية، الشفاء، الرحمة، البشرى، المخرج من الفتن) ؟

هل بحفظ القرآن فقط ؟

إن الحفظ مطلوب .. لكنه وحده لا يكفى، فحفظ القرآن وحده لا يرفع جهلاً .. وإنما بالفهم (الفقه) مع الحفظ، وبالعمل بعد الفقه .. نعم ثلاث خطوات.. قراءة وحفظ .. ثم فهم وفقه .. ثم عمل وتطبيق.

ولعل هذا هو السر فى أن الله تعالى ختم الآيات السابقة التى أثبت فيها للقرآن أوصاف الهداية والشفاء والرحمة والبشرى.

* ختمها بأوصاف محددة لمن ينالون هذه البركات وتلك الثمرات القرآنية : فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **هدى للمتقين** ﴾، ﴿ **شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾، ﴿ **وبشرى للمؤمنين** ﴾.

فهل تأملت معى كيف جعل الله تعالى بركات القرآن وثمراته لأهل التقوى والمؤمنين العاملين.

حقًا إن بركة القرآن لمن يعمل به.

ولقد حذر القرآن الكريم من أن يتحول الدين إلى كلامٍ تتغنى به الألسنة دون التزام به فى واقع عملى تطبيقى، ولقد ضرب الله مثلاً قاسيًا لمن يعلم ولا يعمل، فقال تعالى :

﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ [الجمعة/ ٥].

وقال الله تعالى فى شأن الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق ولم يستجيبوا له فى واقعهم العملى فى شتى أمور حياتهم :

﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾ [الأعراف/ ١٧٥ ، ١٧٦].

ولا يزال القرآن الكريم يحمل على هؤلاء الذين جعلوا الدين كلاماً دون تطبيق لما يقولون، فقال سبحانه :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ [الصف/ ٢، ٣].

بهذا كله يتأكد لنا أن فلاح الإنسان ونجاحه فى استجابته لأوامر الله تعالى، والالتزام بها فى واقعه العملى..

ولا يخفى على عاقل أثر **الجانب العملى التطبيقى** فى الدين كله، فهو أجدى وأكثر فعالية من الجانب النظرى، وحسبنا أن نتأمل انتقال الإسلام وانتشاره فى أفريقيا كيف تم على أيدى التجار المسلمين؛ لصدقهم وأمانتهم والتزامهم بسلوك الدين الحنيف، بأكثر مما انتشر على أيدى الدعاة المكلفين.

وهناك الكثير من الأمثلة من حياة الدعوة لسيدنا النبى ﷺ يلمح فيها أن نسبة كبيرة ممن أسلموا كان بسبب أفعال النبى ﷺ .. من ذلك :

* إسلام الجار اليهودى بسبب صبر النبى ﷺ وتحمله

الأذى منه، ثم الإحسان إليه بالزيارة؛ ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ [فصلت/٣٤].

* إسلام الحبر اليهودى (زيد بن سعنة) لما تأكد من حلم النبى ﷺ مع الجاهلين.

وغير ذلك من الأمثلة التى تؤكد أهمية **الجانب العملى التطبيقى** فى الدين.

إن من يعلم ولا يعمل يحرم نفسه الانتفاع بما يعلم، مثله كمثل رجل مريض ذهب إلى الطبيب فشخص له الداء ووصف له الدواء .. ثم أحضر المريض الدواء غير أنه وضعه بجواره ولم يتناول منه شيئًا رغم علمه بأنه سبب لشفائه.

فكيف لمثل هذا المريض أن ينتفع بدواء لم يشربه ؟
فالراغب فى الانتفاع بالدواء (القرآن والسنة).
عليه أن يسارع بشرب الدواء.
أخى المسلم : أرجوك، اشرب هذا الدواء.

قضية الشفاعة

في البداية أود أن أشير إلى مسألة هامة بشأن الواقع الفكرى المعاصر لدى المسلمين؛ حيث ظهر بجوار الاتجاه الأساسى فى التفكير الذى يعتمد على السند والرواية ويؤمن بكل ما جاء عن الله فى القرآن الكريم، وبكل ما ورد من صحيح السنة النبوية المطهرة، مع هذا الاتجاه الإيمانى نما اتجاه فكرى آخر يستبدل بميزان الرواية والسند وقواعد التحديث وشروطه، يستبدل بكل هذا طريقة الاستنتاج العقلى وميزان الرضا النفسى، وهذا المنهج لا يضبطه شىء إلا دوافع الرغبة وكوامن الأغراض والمذاهب التى يؤمن بها صاحبها؛ أى أنَّ هذا الاتجاه عقلى بالمقام الأول.

والخطورة هنا أن يقدم الإنسان عقله على الوارد من نصوص القرآن والسنة النبوية؛ لأن الدين ليس فكرًا بشريًا، ولا نتاجًا عقليًّا ولا مذهبًا ماديًّا أو روحيًّا، إنه دين من الله تعالى عن طريق الوحى، وليس بما يراه العقل .

وبشأن الشفاعة، فقد وردت الآيات الصريحة وكذلك

الأحاديث النبوية الصحيحة التى تثبتها؛ فكيف لمؤمن أن يتعالم مع الله ؟ ألا يخشى أن يدخل ضمن مدلول الآية الكريمة : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [الأحزاب/٣٦].

وتدل الآيات القرآنية دلالة صريحة على أن الشفاعة تنسب لله تعالى، جاء فى القرآن : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ [الزمر/٤٤]. ووضح العلماء أن المراد من هذه الآية هو أن الله يقبل الشفاعة ممن أذن لهم بأن يكونوا شفعاء، ثم إن الله تعالى نفسه سيشفع لبعض عباده وسيخرج من النار إلى الجنة خلقًا كثيراً كما ورد فى صحيح السنة النبوية، كما أن الشفاعة حين تنسب لله تعالى فهو من باب التعظيم له سبحانه.

كما تدل آيات القرآن الكريم أيضًا على أن الله قد أذن لبعض من أراد تكريمهم يوم القيامة أن يكونوا شفعاء، قال تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا** ﴾ [طه/١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ [سبأ/٢٣].

وقد وضح النبى ﷺ فى سنته من أذن الله لهم بالشفاعة؛ روى ابن ماجة أن النبى ﷺ قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء ». أما قوله تعالى : ﴿ **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** ﴾ [البقرة/٤٨].

فإن آيتى سورة طه /١٠٩، وسورة سبأ /٢٣ السابق ذكرهما يمثلان استثناء من هذا العموم.

وأما قوله تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ [المدثر /٤٨]. فالمقصود بهم الكفار كما تدل عليه سياق الآيات.

وتؤكد الآيات أن للشفاعة شرطين هما :

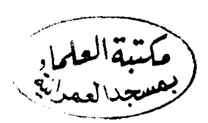
الأول : الإذن للشفيع ، وهو مستفاد من قوله تعالى : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الثانى : لا تتم الشفاعة إلا لمن ارتضى، وهو مستفاد

من قوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ [الأنبياء/٢٨].

في ضوء هذه الآيات وهذا الفهم فمن الجدل العقيم أن ترتفع أصوات تعلن أن الشفاعة تعني أن الشفيع صاحب سلطة على المشفوع، وأنها طلب فيه تغيير قرار ، ولا يملك المشفوع رده . .!! وهذا مستحيل في ضوء دلالة الآيات السابقة التي تؤكد كلها أن الشفاعة لله، وتتم بإذن من الله تعالى لمن أراد تكريمهم يوم القيامة من الأنبياء والشهداء والعلماء؛ والتكريم لون من الثواب يجزى الله به في الآخرة أهل طاعته وإحسانه، والأحاديث المطولة الواردة في صحيح السنة فيها تفصيل وتوضيح لمن أراد الهداية لعقله، أما من أضله الله على علم . . فلن يبصر إلا رأيه .

اللهم اجعلنا من أهل شفاعة المصطفى ﷺ ، والحمد لله رب العالمين .



بين وحي يُتلى ووحي يُنفَّذ

الذين يشككون فى السنة وينادون بعزل السنة عن التشريع والاكتفاء بالقرآن الكريم ، كيف يفهمون هذه الآيات وهى تضع السنة فى ارتباط وثيق وصلة أكيدة بالقرآن الكريم :

أولاً : قول الله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [النحل / ٤٤] فالسنة مبينة ومفصلة وموضحة للآيات؛ فالبيان بنص الآية مرتبط بالتنزيل ومقترن به، وإلا فأخبرنى هداك الله عن أمور أجملها القرآن وجاء بيانها فى السنة، كالصلاة والحج والزكاة والصيام؛ فبيان كل هذه العبادات وتفصيل كيفيتها لا يوجد إلا فى السنة، وتم بوحى من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ .

ثانيًا : قول الله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [النساء/٦٥]. فانظر هداك

الله كيف ربط القرآن الكريم بين الإيمان وبين أمرين بشأن سيدنا رسول الله ﷺ :

الأول : الاحتكام لهديه ﷺ . الثانى : الرضا به .

ثالثًا : قول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

فانظر هداك الله كيف وجهنا الله إلى حضرته ﷺ أسوة وقدوة لا نتحول عنها لغيرها أبداً .

رابعًا : قول الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر/٧] ، فانظر هداك الله كيف أمرنا الله إجمالاً أن نأتمر بأمره ﷺ .

خامسًا : قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله . . ﴾ [الحجرات/ ١] .

فانظر هداك الله إلى هذا النهى الصريح عن أن نقدم رأيًا لنا على الله أو على رسول الله ﷺ .

ما البديل عندكم عن السنة ؟

انظر هداك الله إلى سيدنا رسول الله ﷺ وآيات القرآن التى تزكى كل جانب من جوانبه . .

﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [القلم/٤]، ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء/١٠٧]، ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ [النساء/١١٣]، ﴿ **وما ينطق عن الهوى *إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ [النجم/٣، ٤]، ﴿ **ألم نشرح لك صدرك...** ﴾ [الشرح/١]، إلى آخر الآيات الكثيرة تحت هذا المعنى؛ فأى الناس قاطبة كرسول الله ﷺ كى يضع الواحد منهم.. رأيه.. اجتهاده.. مكان السنة؟!! أيكم ينزل عليه الوحى ليثبت ما هو صواب عند الله، ويبطل ما غير ذلك ؟! ثم إن جميع أحوال رسول الله كانت مرتبطة بالقرآن؛ فالنموذج التطبيقى للقرآن هو سنة النبى ﷺ، وبالتالى كلاهما وحى فالقرآن وحى يُتلى والسنة وحى يُنفَّذ .

هل العقل يصلح بديلاً عن السنة ؟!

إن عقل الإنسان يخطئ ويصيب، والدين من الله تعالى . .

وليس الدين فكرًا بشريًا .. ولو كان الدين بالعقل لأصبح الناس كل يوم فى دين جديد .. والواقع يشهد لذلك؛ ففى أمريكا فى ولاية كاليفورنيا بالتحديد فى أعوام مضت قامت مظاهرة تطالب بإباحة الإجهاض لمن تريد التخلص من الحمل من النساء، وبعدها بأسبوعين قامت مظاهرة أخرى تطالب بتحريم الإجهاض.. وهذا شأن البشر وتفكيرهم وعقولهم .. ولا يزالون مختلفين !!

هل العادات والتقاليد تصلح بديلاً عن السنة ؟!

إن من يتأمل وضع العادات والتقاليد يجدها متبدلة ومتغيرة لا تستقر على حال، بل وربما استحكمت عادات سيئة فى مجتمعات كثيرة؛ مثال ذلك فى الغرب لعهد قريب -وما زالت آثار ذلك تضرب فى حياتهم المعاصرة-: التفرقة بين الأبيض والأسود، واتخاذ الخلان والأصدقاء للمعاشرة بين الرجل والمرأة بدون زواج، ونسبة الولد لأمه حين لا يعلم له أب ...

وعندنا عادة الأخذ بالثأر فى الصعيد .. وهذه أمثلة

قليلة من كثير من العادت والتقاليد السيئة التى تنتشر فى المجتمع العالمى المعاصر .. فهل نستبدل الكفر بالإيمان؟!

كيف تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟!

انظر هداك الله إلى أدلتهم :

(١) يستشهدون على التشكيك فى السنة بحديث رسول الله ﷺ : « لا تكتبوا عنى »، والحديث وارد لا شك فيه، لكن هنا فقه غاب عنهم .. وهو أن هذا النهى كان فى بداية نزول القرآن الكريم ونهى رسول الله ﷺ الصحابة عن كتابة السنة؛ كى لا تختلط السنة بالقرآن، فلما تميز الأمر واتضح أمر رسول الله ﷺ بكتابة السنة فقال: « اكتب عنى فإننى لا أقول إلا حقًّا ».

ثم أليس هذا تناقضًا أن من ألغى السنة وشكك فيها يستشهد بالسنة؟! أم هو الهوى قد سيطر على عقولهم؟!

القرآن يحذرنا من المشككين فى السنة :

احذر أيها المؤمن أن تسلك مسلك هؤلاء القوم وتصيبك الجرأة على رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، واحذر أن تكون

مع من استهانوا بحضرته ﷺ واستخفوا بسنته ﷺ فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾ [الفرقان/٢٧- ٢٩].

والقرآن الكريم يوجهنا أن لا نسألهم وألا نأخذ منهم وألا نتلقى عنهم؛ لأنهم ليسوا بأهل ذكر ولا أهل علم فى دين الله، وإنما هى أهواء شخصية وخيال جامح استبد بهم وتأويل مرفوض ترفضه قواعد اللغة ومعايير الاجتهاد .. وحسبنا أن نكون فى رحاب هدى قول الله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [النحل/٤٣].

السنة محفوظة بأمر الله تعالى :

من المُسَلَّم به أن الله قد تعهد بحفظ كتابه وبالتبعية كل ما يتصل به، ويشهد الواقع على مر التاريخ أن كل ما يتعلق بهذا الكتاب محفوظ بحفظه، فاللغة العربية مثلاً ظلت حية لم تندثر مع لغات كثيرة ماتت واندثرت بموت أهلها، أو توارت عن الاستعمال بضعف أهلها إلا اللغة

العربية، وكان ذلك بفضل القرآن الكريم.

أيضًا بشأن السنة حيث إنها مبيِّنة ومفصِّلة لكتاب الله تعالى، وهى جزء من التشريع الذى تم بوحى من الله تعالى، فالقرآن وحى يُتلى والسنة وحى يُنفَّذ ويطبق.. نعم وجهان لشىء واحد هو الإسلام، والإسلام هو الدين الخاتم ولا دين بعده، فإن الله يهيئ للسنة فى كل زمان ومكان على مدى التاريخ أنبغ العقول لحفظها بمعايير علمية ومنهجية، واسألوا أهل التاريخ والرواية: هل توفر لأى رواية أو أى حدث ما توفر للسنة، أم أن هؤلاء لم يطلعوا على علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية؟! ألم يطلعوا على قواعد الجرح والتعديل التى كانت تراعى إجمالاً قاعدتين فى غاية الأهمية (الكفاءة فى الحفظ والنقل، والأمانة فى النقل) وهكذا.. فكما أن القرآن محفوظ بأمر الله تعالى، فستظل السنة محفوظة بأمر الله تعالى وكذلك كل ما يتصل بالقرآن الكريم.

وأخيراً .. ندعو الله تعالى لهم بالهداية كى يعودوا إلى صفوف الصالحين مقتدين بسنة رسول الله ﷺ .

الرفقة يا رسول الله

فى البداية، أستسمح وأستأذن سيدنا رسول الله ﷺ أن نعيش معه خلال هذه السطور .

أستسمح لأن البيان قاصر، ولأن الباع قصير، وما كان لمثلى أن يتحدث عن صاحب المقام الرفيع سيدنا ومولانا محمد ﷺ، لولا الحب والود وواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم أستأذنكم فى أن يكون الحديث حول معنى اللحظة التى عشتها فى جوار الحرم النبوىّ، وكيف يمكن أن تمتد حتى بعد انتقال الجسد إلى مكان آخر، فحين يكون العبد قريبًا من ربه، قريبًا من رسول الله ﷺ تتقرب إليه الأشياء.. تنصلح له؛ حتى النفس الأمارة بالسوء إذا ما علمت أن ذنوبنا تعرض على سيدنا رسول الله ﷺ كل أسبوع، فما وجد من ذنب لأحد من أمته إلا استغفر الله تعالى له، وأنه تعرض عليه أيضًا الصالحات كل أسبوع، فما وجد من ذلك لأحد من أمته إلا استبشر وحمدَ الله

تعالى. وهكذا أعمالنا حسنُها وسيئها تُعرض على سيدنا رسول الله ﷺ ؛ إذا ما استيقن الإنسان من هذا، فإنه يفكر جادًّا فى أن يكون العرض الأسبوعى الذى يصل إلى رسول الله ﷺ مما يُشرِّف من الأعمال الصالحة، وفى هذا ما يجعل كل فرد فى أمته يفكر متأملاً فى حرص هذا النبى الرؤوف الرحيم على أمته فى حياته وبعد مماته، فهو دائمًا يطلب الصفح والعفو لأمته من ربه تعالى . فجزاه الله خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمته، وزاد الله فى قلوبنا الحبَّ والود له ؛ حتى نكون أهلاً لهذه العلاقة الحميمة الودود، بين سيدنا رسول الله ﷺ وأمته، قال الله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ [التوبة/١٢٨].

وفى هذا ما يجعل كل فرد فى أمته - كتب الله له أن يكون خادمًا لدعوته - يعلم يقينًا أن شفقة الداعى على أتباعه وحرصه عليهم، والمحاولة الجادة الدائمة الرحيمة لإسعادهم برضا الله تعالى، وصرْف خطر الذنوب والأوزار

عنهم؛ طريق نجاح للداعى ودعوته.

ولما كانت أعمالنا تعرض عليه ﷺ، فمن بين الصالحات التى لها منزلة عالية : الصلاة والسلام عليه من أفراد أمته، فقد جعل الله تعالى ملكًا خاصًا لمهمة تبليغ النبى ﷺ صلاةَ وسلامَ أمته عليه.

فاختر أيها المؤمن، رسالتك إلى رسول الله ﷺ، لا شك أنها ستكون الصلاة والسلام عليه، لتنال شرف الاستجابة لأمر من أوامر الله تعالى بدأ اللهُ فيه بنفسه، وثنَّى بملائكة قدسه، وثلَّث بالمؤمنين من إنسه وجنِّه، فقال تعالى : ﴿ **إنَّ الله وملائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبىِّ يا أيُّها الذينَ آمنُوا صلُّوا عليهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب/٥٦].

ولعل ما سبق من تأملات فى رحاب الزيارة الكريمة لسيدنا رسول الله ﷺ - نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها - تقف بنا عند معنى من أهم المعانى التى شُغلَ بها المسلمون : معنى القرب منه والجوار له، والرفقة فى الدنيا والآخرة. حتى إن الحب يدفع الكثيرين إلى الإقامة بالمدينة

متى وجدوا لذلك سبيلاً . ما دلالة هذا القرب ؟

هذا المعنى قد سبقنا إليه الأخيار الفضلاء صحابة النبى ﷺ ، بل كان مطلبًا صريحًا أعلنوه، وفاضت به عبارات الوجد والحب التى يصحبها الدمع الحار والإحساس العميق بفضل القرب من هذا النبىِّ العظيم المنوط به الرحمة، والشفاعة، والرأفة، والخيرُ الوافر فى الدنيا والآخرة.

وسوف يزداد حجم الاستفادة حين يمتد التأمل المتأنى فى رحاب نور الإيمان ، كيف أن الصحابة – رضوان الله عليهم– تجاوزوا تمامًا حدود الدنيا إلى الآخرة، وتجاوزوا حدود القرب الجسدى إلى قرب الطاعة، والتأسى به، والاقتداء بأحواله ﷺ .

وكانت أسئلتهم فى ذلك محملة بهذه المعانى وبأكثر منها، ففى السؤال الباكى لثوبان حين تَذَكَّرَ أمر الدنيا والآخرة وعلم أنه فى الآخرة لا يرقى عمله لرفقة هذا النبى العظيم، وأن هذا يحرمه من فضل الرفقة فى الآخرة، عرض أمره على النبى ﷺ وهو يتجاوز حدود هذه الدنيا الفانية

العاجلة الغرور، فأنزل الله تعالى قرآنًا يهدى به كل راغب فى رفقة الحبيب النبى ﷺ، ووصف السبيل إلى ذلك بصورة محددة وواضحة : ﴿ **ومن يُطعِ الله والرسولَ فأولئكَ معَ الذين أنْعم الله عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحينَ وحَسُنَ أُولَئكَ رَفيقًا** ﴾ [النساء/٦٩].

وفى السؤال الإيمانى الواعى بالحقائق الفاهم بنور الله تعالى، حين سأل ربيعة بن كعب الأسلمى (أبو فراس) – من أهل الصفة – وكان من أحلاس المسجد كوصف رسول الله ﷺ له – حين قدَّم هذا الصحابى ماءَ الوضوء لرسول الله ﷺ، وأحب النبى أن يكافئه ويكرمه، فقال له: « سلنى » . فقال : أسألك يا رسول الله مرافقتك فى الجنة. فقال له النبى ﷺ : « أو غير ذلك ؟ » فقال : هو ذاك. فقال له النبى ﷺ يصف الطريق والسبيل الميسر لهذه الرفقة والتحصل عليها والفوز بها : « أَعِنِّى على نفسك بكثرة السجود » .

السجود بمعناه الممتد فى كل الأفعال والأقوال ..

السجود بدلالته التى تجعل الخشوع ملابسًا لكل أفعال المؤمن.. السجود كرمز لقمة الطاعة والخضوع لله تعالى.

وهكذا حين يصل العبد إلى هذه القمة بعون الله تعالى، يصل إلى نقطة القرب ومعنى القرب.

وكم ركَّز الحبيبُ النبيُّ ﷺ على هذا المعنى: «أقرب ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجدٌ».

مُذْنبٌ مثلى لو أدرك معنى القرب لما سارعت الخطى تزاحم وتدافع الركب لتقف بين يدى النبى الكريم سيدنا محمد ﷺ، ستكون الخُطى بتؤدة وعلى وَجَل يؤدى إلى الأدب، وسيعلم مذنبٌ مثلى أن هذا الجسد الذى يتحرك لاهثًا إلى هذا النبى الكريم هو آخر ما يكون فى معنى القرب.

وحتى يتأكد لنا معنى القرب، فنظرة تأمل إلى النبى ﷺ وهو يبين لنا أن قرب الطاعة.. التقوى، هو أعلى أنواع القرب؛ حتى إنه فاق قرب النسب، يظهر ذلك فى قول الحبيب النبى ﷺ حين قال لفاطمة -رضى الله عنها-:

« يافاطمةُ، اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئًا... لا يأتينى الناس بأعمالهم يوم القيامة وتأتونى بأنسابكم» . ويقول الله تعالى : ﴿ فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فلا أنسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئذٍ ولا يَتَسَاءلُون ﴾ [المؤمنون/١٠١] . ويصف القرآن دعوة سيدنا إبراهيم لأن تظل الرسالة فى ذريته : ﴿ قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ [البقرة/١٢٤]. ويقول النبى ﷺ : « أنا جدُّ كل تقي » ؛ « سلمان منا آل البيت » .

ويؤكد الحديث القدسى أن نسب الطاعة أقوى من أى نسب آخر، قال الله تعالى : « أيها الناس إني جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا : قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا: فلانٌ أغنى من فلان، وفلان أقوي من فلان » .

من هنا يظهر لمذنب مثلى أن سبيل القرب إنما يكون بالطاعة والتقوى.

كانت هناك أجساد كثيرة قريبة من رسول الله ﷺ ، لكن الفائز منها بمعنى القرب من تحقق فيهم وصف الطاعة

والتقوى والمتابعة والتأسى والتأدب والتخلق بخلقه ﷺ . ومن لم يتحقق فيهم هذا الخلق ما فازوا بمعنى القرب، وما شفع لهم قرب أجسادهم منه ﷺ ، وأفراد المشركين والمنافقين فى حياته مثل واضح وشاهدٌ قوى على ذلك.

وكانت هناك أجساد أخرى لم تكن بالمدينة زمن النبى ﷺ ، لكن وصف الطاعة تحقق فيها ؛ فتأتّى لها معنى القرب، تأتّى لها معنى القرب لدرجة أن يُنبه النبى ﷺ على منزلتهم؛ ويرشدنا سيدنا عمر – رضى الله عنه – أن يسأل هذا القريب البعيد أن يستغفر له ، نعم سيدنا عمر – وهو من هو فى القرب– يسأل أويس القرنى من اليمن حين يأتى مع أمداد اليمن ووفودها، يسأله عمر –رضى الله عنه– أن يستغفر له كوصية رسول الله ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ولا يزال الحبيب النبى ﷺ ينبه الأمة إلى معنى القرب؛ كى نفقه ديننا ونفهم، فيقول ﷺ : «أقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا».

وكما أن معنى القرب مقترن بالطاعة والتأسى برسول الله ﷺ فإن معنى البعد مقترن بالمعاصى والمخالفات . ولقد أخبر الحبيب النبى ﷺ أن هناك أناسًا من المسلمين تطردهم الملائكة وتبعدهم عن الحوض ؛ لأنهم ابتدعوا فى دين الله تعالى ما ليس فيه.

مذنبٌ مثلى حين يفقه ذلك سيتسامى أثناء الزيارة، وأثناء الوقوف بين يدى هذا النبىّ العظيم ﷺ، يتسامى عن مطالب الجسد، ويشتغل بما أمر الله به، وأوصى به الحبيبُ المصطفى ﷺ من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بالوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة ؛ لا لأن النبى ﷺ فى حاجة إلى دعائنا، بل امتثالاً لأمر النبى ﷺ ورغبة فيما وراء ذلك من خيرٍ للعبد من ربه تعالى.

وكثرة الصلاة عليه، والتأدب أمامه، والاستشفاع به، وسؤال الله تعالى؛ فيه تمام الغِنَى عن النزول بالزيارة إلى ما دون ذلك.

وكما كان النبى ﷺ حريصًا على أمته .. حريصًا

عليهم من المعصية والشرك والكفر والخلاف، فعلى المؤمن التأسى برسول الله فى ذلك، فيكون حريصًا على إخوانه المسلمين. وليكن ديننا ولتكن عبادتنا حسبَ ما وردَ فى الشرع : (القرآن والسنة)، ففيه الغنى عن أقوال البشر، وهل استنفدنا كل الشرع وما ورد فيه حتى نتجاوزه إلى... ؟! وحتى إن حدث هذا فليس لنا أن نتجاوزه . ليس هذا فحسب، بل إن الخروج من خلاف العلماء أمر أجمع عليه الفقهاء وأهل العلم، فضلاً عما فى ذلك من جمع لكلمة المسلمين.

ومما دار بخلدى من تأملات فى جوار النبى الكريم ﷺ عدم التعويل على الأحوال الخاصة فى الدعوة، مع عدم إنكارها على أصحابها ؛ فهى أحوال تخص صاحبها وحسابه على الله تعالى إن صدقًا أو غير ذلك، وإنما التعويل على الشرع الوارد، ويا حبذا المجمع عليه ؛ فالناس فى حاجة إلى الوضوح والإقناع، وهذا أسلوب القرآن فى الدعوة : الوضوح والإقناع بالأدلة المتنوعة والشواهد

الواضحة؛ بعيداً عن الغموض وطلاسم الغيب التى لها طابع الإبهام والغرابة، والتى تورث العقل تحيراً.

نحن نؤمن بالغيب ،وبالضبط بالأمور التى حددها الله تعالى فى القرآن وجعلها جزءاً من إيمان المؤمن؛أما الأحوال الخاصة وما يتصل بها من أمور غيبية فأمرها إلى الله تعالى، وليس من الحكمة تكليف الناس بها.

فالأمة مكلفة بالكتاب والسنة، وبهما يكون معنى القرب .. بحياتهما فى علم الأمة وعمل الأمة، مع الفقه فى دين الله عزَّ وجلَّ.

والحمد لله رب العالمين،
والحديث موصول بإذن الله تعالى.

فيك صفة من رسول اللـه ﷺ !!

في حوار مع شارد عن ربه، استحوذ عليه الشيطان، واستبد به هواه؛ فأساء إلى أهله بل إلى أقرب الناس إليه، وطلبوا ناصحًا له لعله يعود إلى صوابه؛ ذهب إليه جمع من الصالحين الذين يحيطون بالعائلة وأدلى كل منهم بدلوه، وقالوا له من كلام الوعظ والحلال والحرام ما شاءوا، غير واحد منهم التزم الصمت، وكان رد الفعل عند الرجل المكابرة والإصرار إلى أن طردهم .. وهم في طريق الباب للخروج قال الرجل الذى جلس صامتًا طول الجلسة لصاحب الدار الذى طردهم منها هامسًا في أذنه: يا فلان فيك صفة من صفات رسول الله ﷺ . ووقعت الكلمة في قلب الرجل العاصي وعقله ونزل من كبريائه وإصراره وغفلته.

دارت رأسه وأخذ يفكر : أى صفة بي من صفات رسول الله ﷺ معقول ؟! وأنا على هذه الحالة ... وسأل عن الرجل الذي قال له هذه الكلمة .. وذهب إليه وسأله :

أى صفة بى من صفات رسول الله ﷺ ؟! فقال له : أنا الآن على موعد بالمسجد، تعال وبعدها نجلس سويًّا أوضح لك الأمر. فذهبا إلى المسجد وصليا واستمعا لمجلس علم وقرآن وذكْر، وكان لمجلس العلم أثر، ولمجلس القرآن أثر، ولمجلس الذكر أثر، وأصبح الرجل مهيئًا لسماع الإجابة وأكثر تشوقًا إليها، فقال له: الوصف الذى فيك من صفات الرسول ﷺ هو الصدق ؛ فأنت رجل لم تخدعنا، ولم تراوغنا بل قلت ما عندك وكنت واضحًا صريحًا، والصدق من صفات رسول الله ﷺ . فبكى الرجل وكانت فاتحة خير لصلاحه.

إن مَن دخل إلى الرجل من منطقة عصيانه (المنطقة المظلمة) فشل فى الوصول إلى غايته، فى حين أن من دخل من المنطقة المشرقة (منطقة الخير) نجح مع الرجل.

فى حالات كثيرة قد لا يفيد الوعظ المباشر، ويكون الأنفع الدخول إلى الشخصية من بابها الذى تتأثر به، ويكون البحث عن صفة طيبة فى الإنسان يزكيها الداعى

وينميها يكون لها فعل السحر فى إصلاح الحال .. وكما أن الترهيب باب من أبواب الموعظة فالترغيب باب عظيم لها.

وكم أتأمل عظمة رسول الله ﷺ فى حواره مع عَدَّاس بعد أن طرده أهل الطائف وسلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان، وجلس يستظل بحائط بستان لابنى ربيعة، فبعثا إليه بعنقود عنب مع أجيرهما عداس، فوضعه عداس بين يديه ﷺ ودعاه لأن يأكل فمد النبى ﷺ يده وقال : «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال عداس: هذا كلام غريب لا يعرفه أهل هذه البلاد . فقال النبى ﷺ : « ومن أى البلاد أنت ؟» فقال عداس: من نينوى. فقال النبى : « بلد الرجل الصالح يونس بن متَّى » فقال عداس: أوَ تعرفه ؟ فقال الرسول: « نعم إنه أخى فهو نبى وأنا نبى » فاقبل عداس على رسول الله مقبِّلاً رأسه ويديه.

انظر رعاك الله كيف أن رسول الله ﷺ لم يشتغل بذم من آذوه وطردوه، بل اشتغل بما يزكى النفوس .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإســـــلام والعقل

من أهم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان : نعمة العقل ولقد أولى الإسلام اهتماماً خاصاً بهذه النعمة، سواء من حيث العناية بها والمحافظة عليها، أو من حيث توجيهها وإرشادها إلى ما يفيد ...

فمن ناحية المحافظة عليها : حرّم الإسلام كلَّ ما يضرُّ بها أو يمسها بسوء، مثل شرب الخمر، والمخدرات، والمسكرات، بل وهناك فى الفقه الإسلامى باب كامل عن البيوع التى تضرُّ بالعقل، وفى هذا لون من الاهتمام والعناية بهذه النعمة . ومن ناحية توجيهها فقد جاء القرآن الكريم هادياً للعقل لكى لا يضل، وبخاصة فى مسائل ما وراء الطبيعة من أمور الغيب التى تعجز وسائل الإدراك البشرى عن التعامل معها أو بحثها .

ولقد قدر الإسلام هذه النعمة فجعل العقل مناط التكليف والخطاب، ولك أن تتأمل معى عشرات الآيات التى بها دعوة صريحة لإعمال العقل فى فهم ما كلف به،

وفيما خلق الله من مخلوقات لترى فيها دليلاً على قدرة الخالق ، ومن ذلك : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** .. ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ويتفكرون فى خلق السموات والأرض...** ﴾ [آل عمران / ١٩٠، ١٩١] .

وكثيراً ما يرد فى القرآن الكريم : ﴿ **أفلا يتدبرون** ﴾ .. ﴿ **أفلا يعقلون** ﴾ ونحو ذلك .

ويقصد بالعقل فى السياق القرآنى الفهم والتمييز، فهو الضابط لتصرفات الإنسان، وينبه الإسلام إلى قضية هامة بالنسبة للعقل، وهى أن للعقل مجاله وحدوده، ولو تجاوز العقل حدوده، أو خرج عن مجاله ؛ لأهدر طاقته فيما لا يفيد .

فإذا كان الإسلام قد أطلق العنان للعقل فى مسائل الماديات، فى المشاهد فيما يخضع للتجربة، يجتهد العقل فيه ويبحث ويتأمل .

فإن مسائل ما وراء الطبيعة ... ما وراء الماديات ... مسائل الغيب لم يجعلها الإسلام مجالاً لبحث العقل؛ لأن

أدوات البحث حينئذ غير كافية.. ناقصة.. وبالتالى ستكون النتائج غير صحيحة و مضللة .

والعلم نفسه يعترف بأن مسائل الغيب ليست موضوعاً للبحث العلمى، ويزيد هذه الحقيقة تأكيداً تجربة البشرية فى بحثها الدائب فى مسائل ما وراء الطبيعة .

إن البشرية دائمة الاختلاف حول هذه المسائل، واجتهدت البشرية للوصول إلى ميزان يفصل بين الحق والباطل... واختلفت ولا يزال الاختلاف إلى اليوم بين الفلاسفة فى مسائل الأخلاق .. وفى التمييز بين الحق والباطل، وتقوم أدلة عقلية لرأى ما وتهدمها أدلة عقلية أخرى.. وهكذا. حتى من زعم أنه اخترع مقياساً للفصل بين الحق والباطل، فإن التجربة هدمت آراءه، ولنأخذ على ذلك مثلاً: «ديكارت » لقد زعم أنه اخترع منهجاً يفصل بين الخطأ والصواب، وتهاوى منهج ديكارت وهدمته التجربة فى الجانب المادى..

وأما آراؤه المعنوية فقد خالفه فيها أساطين الفكر والفلسفة، وبقيت مسائل ما وراء الطبيعة (الغيب)

ظنية، واحتدم الخلاف فيها ... وعجز العقل عن الوصول إلى اليقين فيها .

إن الحضارة المادية مدينة للعقل البشرى... فللعقل فى جانب المادة أن يبتكر .. وأن يخترع .... وأن يجرب ... فهذا مجاله، أما مسائل ما وراء الطبيعة (الغيب) فالعقل يعجز عن الوصول لليقين فيها .. ومن هنا جعل الله الدين هادياً للعقل فى مسائل الأخلاق (الخير والفضيلة) والدين...

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [آل عمران/ ٨] .

بداية مشرقة ... ولكن !!

من الظواهر اللافتة للانتباه فى حياتنا المعاصرة ؛ الاندفاع بنشاط ملحوظ، وبهمة تحرك الصخور فى بداية كل عمل جديد، وعلى حد التعبير العاميّ الذى يصور هذه الظاهرة تصويراً معبراً: « الغربال الجديد له شدّة » ويمكن لأحدنا ملاحظة حجم الانفعال والحماس فى بداية كل عمل جديد .. ولكن ما هى إلا أيام أو شهور وتضعف الهمّة وتلين العزيمة لدرجة قد تصل إلى انقطاع العمل بالمرة!

فهل هذه الهبَّات العاطفية يمكن لها أن تنجز أعمالاً أو تبنى شخصية ؟!

وهل يمكن للاندفاع العاطفى - الذى يكون فى الأعم الأغلب رد فعل على موقف معين- أن يبلغ بالإنسان غايته ويصل بالإنسان إلى تحقيق هدفه وطموحه ؟!

جميل أن يكون لدى الإنسان مع كل عمل جديد بداية مشرقة، وهمة عالية، وحماس متدفق، لكن ذلك وحده لا يكفى بل لابد من الاستمرار والمواصلة لهذه

البداية المشرقة؛ لتكون كل خطوات العمر بداية مشرقة.. مع كل يوم جديد بداية مشرقة؛ وكى يتحقق ذلك؛ فينبغى أن يأخذ الإنسان من الأعمال ما فى وسعه وطاقته، ولا يأخذ شيئًا يشق عليه، كى يتأتى له الاستمرار والمواصلة، وهذه قاعدة أرشدنا إليها رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج البخارى ومسلم عن عائشة -رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملُّوا».

وبشأن المواصلة والاستمرار يوصينا رسول الله ﷺ؛ ففى البخارى ومسلم عن عائشة -رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ».

وفضلاً عن قيمة المواصلة والاستمرار فى بلوغ الهدف وتحقيق الطموح؛ فإن للمداومة على فعل الخيرات، وترْك المنكرات أثرًا إيمانيًا يجعلنا أكثر قربًا من الله تعالى، ويشهد لذلك قصة حنظلة بن الربيع لما مَرَّ وهو يبكى بأبى بكر -رضى الله عنه- فقال له: مالك يا حنظلة؟ فقال: نافق حنظلة يا أبا بكر... إلى أن انطلقا إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ يبكى قال: مالك يا حنظلة؟ قال:

نافق حنظلة يا رسول الله؛ نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رَأيَ عَيْنٍ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً . فقال النبى ﷺ : « لو تدومون على الحال التى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم وفى طرقكم وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » .

فتأمل رحمك الله قول رسول الله ﷺ :« لو تدومون »!!

كما وضح رسول الله ﷺ أن الانقطاع عن فعل خير بدأه الإنسان نقص فى قدره الإيمانى، فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال: قال لى رسول الله ﷺ : « يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل » .

وكان من توجيه الله لأَعْبَد خلق الله سيدنا محمد ﷺ ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الحجر/٩٩] .

ومن الحكم العالية قولهم : واصل تصل .

نسأل الله أن يتولانا وأن يرضى عنا ،

والحمد لله رب العالمين.

الصحبة.. والعنوان.. والزاد

طال الأجل أم قصر فلابد من رحلة عن هذه الحياة، وإذا سبق القدر وحان الأجل فما تنفع الحيل، وتسقط عن الإنسان وتفارقه كل الألقاب، والمظاهر التى يتوارى فى ظلها، ويتبدد الزيف ، ويتلاشى الكذب ، ويذهب النفاق وتأتى الحقيقة الكبرى وتعترف البشرية بقمة عجزها أمام هذه الحقيقة .. فلا الطبيب ينفع ولا السلطان يجدى **﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم *وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون *فلولا إن كنتم غير مدينين* ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾** [الواقعة / ٨٣-٨٧].

ويرحل الإنسان عن دنيا الناس لا يحمل معه إلا ما كسب من خير أو اكتسب من الإثم، وفى الحديث : « إذا مات العبد قال الناس: ما خَلَّف – أى ماذا ترك لنا نرثه – وقالت الملائكة :ماذا قَدَّم؟ » .

ولذلك يوصينا القرآن فى الدنيا أن نستعد وأن نقدم

لغـــد ؛ ﴿ **يا أيهـا الذين آمنوا اتقـوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله** ﴾ [الحشر/١٨] ويقول المعصوم ﷺ : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

ويمكن للمؤمن أن يحدد صحبته فى الآخرة !! وأن يحدد عنوانه فى الآخرة !!

فأما عن الصحبة فنعوذ بالله من صحبة أهل النار، ولننظر إلى أهل الجنة ودرجاتهم لنعمل بأعمالهم ونتأدب بأدبهم كى نكون معهم .. فمع من تحب عليك أن تعمل بعمله .. مع المتقين .. مع المحسنين.. مع الأبرار وقد بين الحبيب النبى ﷺ فى صحيح السنة أن لكل باب من أبواب الجنة أهلاً ينادى عليهم منه، وسأل أبو بكر الصديق النبى ﷺ : وهل هناك من ينادى من أكثر من باب ؟ فقال له النبى : « نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر » .

بل يمكن لك أن ترقى فى تحديد الصحبة .. وتحديد العنوان؛ لتكون فى رفقة الأنبياء والشهداء، لقوله تعالى :

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا﴾ [النساء/٦٩].

وأما عن زاد الرحلة فالله تعالى دلنا عليه، وأمرنا به في قوله تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾** [البقرة/١٩٧].

ويجمع هذا كله قول الرسول ﷺ: « يا أبا ذر، أحكم السفينة فإن البحر عميق واستكثر من الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير».

الصحبة: رفقة الأنبياء والصديقين والشهداء.

والعنوان: أعلى درجات الجنان.

والزاد: تقوى الله عز وجل.

يا كريم العفو تولنا وارض عنا، والحمد لله رب العالمين.

ما هذه الدنيـــا ؟!

كل حدث من أحداث الحياة – أى كل ما قبل الموت – فهو دنيا ؛ لأنه قريبٌ دانٍ، وكلُّ ما بعد الموت هو الآخرة.

فكل ما لك فيه حظٌ عاجل ونصيبٌ قريبٌ وغرض دانٍ وشهوةٌ ولذة عاجلة الحال قبل الوفاة، فهى الدنيا.

إلا أنه ليس كل ما لك فيه حظٌ وميل مذمومًا، إنما ينقسم إلى ثلاثة :

الأول : ما يصحبك إلى الآخرة، كالعلم لوجه الله، والعمل الخالص لله، وهو من الدنيا ولكنه محمود، والنبى ﷺ قال : « حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة ».

الثـــانى : كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة فيه فى الآخرة؛ كالتلذذ بالمعاصى والتنعم بالمباحات الزائدة عن الحاجة . فهذا كله من الدنيا المذمومة، وهى المحظورات من المعاصى.

الثالث : وسط بين الطرفين، وهو كل حظ عاجل لكنه معين على أعمال الآخرة خادم لها، كقدر القوت وكل ما يلزم الإنسان للبقاء فى الحياة، وهو وسيلة لفعل الطاعات ؛ لذلك فهو ليس من الدنيا المذمومة، أما إن كانت النية فيه ترجع إلى الحظ العاجل والمتعة القريبة والتنعم المجرد دون نية التقوى على الطاعة فهو من الدنيا المذمومة.

فالدنيا مذمومة إلا ما أعان منها على الخير والتقوى ؛ لذلك قال النبى ﷺ : « من طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا لقى الله وهو عليه غضبانٌ، ومن طلبها استعفافًا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

إذن .. فالدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة فيه لأمر الآخرة . وعبَّر الله عن هذا الحظ بالهوى فقال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى** ﴾ [النازعات / ٤٠، ٤١] .

ومجامع الهوى فى خمسة أمور كما فى قوله تعالى:

﴿ **اعلموا أنَّما الحياةُ الدنيا لَعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتَفاخرٌ بينكم وتكاثر فى الأموالِ والأولادِ** ﴾ [الحديد/ ٢٠].

ثم نجد أن الله قد وضح الأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة، وهى سبعة، فى قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهوات من النِّسَاء والبنينَ والقناطيرِ المقنطرة من الذَّهَبِ والفضَّةِ والخيلِ المسوَّمَة والأنعامِ والحرثِ ذلكَ مَتاعُ الحياةِ الدنيا** ﴾ [آل عمران/ ١٤].

وحكمة جعل هذه الزينة إنما لاختبار الإنسان ؛ لقوله تعالى : ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** ﴾ [الكهف/٧]، وقوله : ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً** ﴾ [الملك / ٢].

كل هذه المعطيات إنما تدفع العاقل اللبيب إلى أن يوجه القصد خالصاً لله، وإن كان ذلك يعرضه فى بعض الأحيان لحرمان من لذة عاجلة فى الدنيا، وما أهونها على الله!!.

مرَّ رسولُ الله ﷺ على شاة ميتة فقال : « أترون هذه الشاة هينةً على أهلها ؟ » قالوا : من هوانها ألقوها. قال:

« والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء ».

والنبى ﷺ يقول : « الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا ما كان لله منها »، « حب الدنيا رأس كل خطيئة »، « إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ».

إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب.

ويقول النبى ﷺ : « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ».

وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم، تفرغ لعبادتى أملأ قلبك غنًى وأملأ يدك رزقًا . يا ابن آدم، لا تباعد منى أملأ قلبك فقرًا وأملأ يدك شغلاً ».

وهكذا، يتضح مما سبق أن الدنيا ملعونة إلا ما أدى إلى الآخرة من علم وعمل، وأن الحياة كلها - بخيرها وشرها - ابتلاءٌ من الله تعالى لعباده، فمن شغلته الدنيا عن الآخرة فقد سقط في الفتنة، ومن شغلته الآخرة أتته الدنيا راغمة وحاز الخير كله في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

لا تمسكْ بأذن كلبِ الغنم

اجتهد الشيطان فى الآونة الأخيرة، ومعه أعوانه من الإنس (أعداء الدين)، فى نشر آفة خطيرة بين صفوف بعض أفراد مجتمعنا الإسلامى المعاصر.

هؤلاء الأفراد زين لهم الشيطان أعمالهم وأقوالهم، فاشتغلوا بتتبع العثرات، خاصة عند العلماء، أفرادٌ يصنعون التهم، وهى فى الأعم الأغلب قائمة على الشائعات والتخمينات، أو على أمر الهوى والعاطفة والانتصار لرأى بعينه أو مذهب مُتبع.

أفراد يتعاملون مع البشر بقوالب جامدة ثابتة من الفهم، من وافقهم فيها كان ملاكًا رحيمًا، ومن خالفهم كان شيطانًا رجيمًا .

هؤلاء وأمثالهم حسبنا وإياهم أنْ نلوذَ جميعًا بمنبع الهداية والشفاء : القرآن الكريم، وبهدى رسولنا الأمين سيدنا محمد ﷺ ؛ فهو الأسوة والقدوة التى ارتضاها الله وزكّاها وأرشد المؤمنين إلى اتباعها.

ولعل من المناسب أن نبدأ بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبى هريرة -رضي الله عنه- حيث يضرب النبيُّ ﷺ فى هذا الحديث مثلاً قاسيًا لمن يتبع أسوأ ما يسمع، ومن ينشر عن الناس أسوأ ما سمع عنهم، قال النبى ﷺ : «مثلُ الذى يسمع الحكمة ويتبع شر ما يسمع، كمثل رجل أتى راعيًا فقال له : أجزرنى شاةً من غنمك، فقال : اذهب فخذ بأذن خيرها شاةً. فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم».

لقد ترك هذا الرجل سائر الغنم، ترك ما يصلح للذبح والأكل، وأخذ ما لا يصلح، وهذا لونٌ من الضلال فى الاختيار.

وفى هذا الحديث تربية كريمة لسلوك المؤمن تجاه ما يسمع، فلا ينبغى أن يقف المؤمن عند الهفوات، ولا ينبغى له أن يتتبع العثرات والسقطات، وإنما سبيل المؤمن أن يصطفى أحسن ما قيل، وفى ذلك امتثال لقول الله تعالى حين مدح عباده الفائزين بهداه : ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ [الزمر/١٨].

وعن ابن عباس – رضى الله عنه – فى تفسير هذه الآية قال: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ، فيحدث بأحسن ما سمع ويكفُّ عما سواه.

وذلك لأن المؤمن حريصٌ على فعل ما هو أكثر ثوابًا عند الله تعالى، ولا ينشر إلا الخير، ولا يلتمس لأحد عيبًا.

روى الطبرانى فى الصغير والأوسط بسنده عن أبى هريرة –رضى الله عنه– أن النبى ﷺ قال: «إن أحبَّكم إلىَّ أحاسِنُكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى المشَّاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبُرآءِ العيبَ».

وكم كان النبى ﷺ يجأر إلى الله تعالى مستعيذًا من الخلاف والشقاق والنزاع؛ من ذلك ما رواه أبو داود والنسائى بسنديهما عن أبى هريرة –رضى الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إنى أعوذُ بك من الشِقاق والنفاق وسوء الأخلاق».

ولا يغيب عن بالنا أن غالب المسلمين يعلم حدود الحلال والحرام، وليست القضية إثبات خطأ المخطئ وتجريمه، إنما القضية فى حمل النفس على الالتزام بالحلال وهجر الحرام، المعونة التى تقدمها لأخيك فى التغلب على نفسه وهواها، والقضية أن الدعوة إلى الله تعالى إعانة وليست إدانة، كما أنه ليس من المناسب للمبتدئ أو العامة الاشتغال بالنقد، خاصة لأهل العلم، فأدوات النقد ومعطياته عند المبتدئ قليلة وقاصرة، وتصل به إلى نتائج مضللة غير صحيحة، المسألة هنا مسألة وعى وفهم للنصوص وليست مسألة امتلاك حفظ النصوص أو معرفتها فحسب.

ثم إن المبتدئ متبع مقلد وناقل، له أن يتبع ما اطمأن إليه قلبه وصحَّ فى فهمه من آراء أهل العلم، لكن ليس له تسفيه آراء الآخرين، وليس له - أيضاً - فرض فهمه على الآخرين.

وحسبنا هنا أن نتأمل مواقف أئمة الدين فى عصور الإسلام الأولى، كيف أنهم لم يلزموا الناس الأخذ

بمذهبهم، وكانوا يرون غضاضة فى الخلاف، وكان الواحد منهم إذا رأى الصواب أو الأفضل فى غير رأيه لا يأنف أن يرجع إليه؛ فالإمام أبو حنيفة مثلاً كان يفضل الصدقة على حج التطوع، فلما حج ورأى مشقة الحج عاد عن قوله هذا إلى تفضيل الحج.

وجدير بالذكر فى هذا المقام موقف الإمام مالك – رضى الله عنه – الذى لم يرض للخليفة هارون الرشيد أن يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابه «الموطَّأ»، رغم شدة تحرى الإمام مالك فى روايته له وموافقة علماء الدين عليه، وعلَّل الإمام مالك رفضه هذا بقوله : إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى البلاد، وقد يكون عند بعضهم من الأحاديث ما لم يبلغنى، ولو بلغنى لغيرت شيئًا مما دونته.

وكان بعضهم يعمل باجتهاد غيرهم؛ ترخُّصًا أو موافقة لجماعة المسلمين، من هذا ما روى عن الإمام أحمد –رحمه الله– فقد كان يرى الجماعة أن الحجامة أو الفصد

تنقض الوضوء، فسئل عن الإمام احتجم وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ، هل يصلى الإمام أحمد خلفه ؟ فقال : كيف لا أصلى خلف مالك وسعيد بن المسيب ؟

وروى أن الشافعى ترك القُنُوت فى الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية فى مسجد إمامهم ببغداد.

فبهذه الروح الطيبة وبهذا التسامح حمل أئمة السلف راية الدين، دون انتصار لهوى أو تعصب لرأى ؛ لهذا حفظهم الله تعالى وصانهم من التحاسد والتخاصم، وانتفعت الأمة بعلمهم وبأعمالهم، وكان اختلاف الرأى عندهم عامل صحة وليس عامل هدم ؛ لأن كلاً منهم كان ينشد الصواب والأفضل حتى لو ظهر على يد غيره، وكانت آراؤهم ثمرات متعددةً لشجرةٍ واحدة هى شجرة الكتاب والسنة، فرضى الله عنهم وجزاهم عنا خير الجزاء.

وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير
نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ضربة حظ.. أم رحلة كفاح؟!

الناظر إلى الناس وأحوالهم فى المجتمع الإنسانى عامة يمكن أن يصنفهم إلى قسمين : قسم دؤوب جاد صبور مكافح.. العمل عنده حياة وعبادة. وقسم آخر من الناس دؤوب.. ولكن على القيل والقال..

وأهل القيل والقال ساخطون دائمًا على أهل النجاح والتفوق، وهم حريصون على تذكير كل ناجح بسيرته الأولى أيام فقره وضعف حيلته وهوانه على الناس، ولا تستوعب عقول الساخطين ولا تتسع صدورهم لعطاء الله وتوفيقه لهذا المكافح المثابر، بل يرون أنه أخذ فوق حقه والأمر ضربة حظ، وأمنيتهم وسعادتهم يوم أن تتحول النعمة عن هذا المكافح الناجح ليعود إلى سيرته الأولى من الفقر وضعف الحيلة والهوان على الناس.

وكأنى بك يارسول الله ﷺ حين قلت للصحابة .. بل للأمة كلها : « إن لنعم الله أعداء » فقالت الصحابة : ومن هم يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : « الذين يحسدون الناس

على ما آتاهم الله من فضله » وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم، قال الله تعالى : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ [النساء/ ٥٤] .

والحق أن نجاح كل مكافح وراءه أسباب :

الأول : العمل الدؤوب والصبر والجلد .. ومن سنن الله الكونية أن جعل النجاح للمجتهد، وجعل الفشل للكسول الخامل، وآيات القرآن الكريم تقرر هذه الحقيقة، قال الله تعالى : ﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾ [النساء/ ٩٥] .

الثاني : توفيق الله تعالى، وسبحان الله القائل : ﴿ **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ [هود/ ٨٨] .

الثالث : الصدق والإخلاص؛ فإن الراغب فى شىء بصدق وإخلاص يوفقه الله تعالى لنيل ما أراد، يشهد لذلك أمر الرجل الذى غزا مع رسول الله ﷺ فلما عاد النبى منتصراً ومعه الغنائم جعل لهذا الرجل نصيباً منها، فغضب الرجل وقال للنبى ﷺ : يا رسول الله ما على هذا اتبعتك، لكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا بسهم- وأشار

بيده إلى حلقه- فأموت فأدخل الجنة.

فقال النبى ﷺ : « إن صدق الله يصدقه ». وبالفعل فى الغزوة التالية حقق الله أمنية الرجل فكان شهيداً لصدقه وإخلاصه.

وليحذر هؤلاء الناقمون الحاقدون الحاسدون أن يكونوا كأبى جهل والمشركين الذين نظروا إلى رسول الله ﷺ على أنه اليتيم الفقير فكيف يكون نبيًا رسولاً ؟! وإلى ذلك أشار القرآن الكريم، قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ [الزخرف/٣١]. فحرمهم الله نعمة الإيمان به وشرف الانتساب لخير أمة أخرجت للناس. وليعلم الحاسدون الحاقدون أن الأمور صغيرها وكبيرها يتم بقدر دقيق من الله .. قال الله تعالى : ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقدر** ﴾ [القمر/٤٩].

فالأمر إذن ليس صدفة ولا ضربة حظ .. بل رحلة كفاح وقصة نجاح تمت بتوفيق الله تعالى وفضله، والباب مفتوح لكل صادق مخلص، واسألوا الله من فضله.

والحمد لله رب العالمين.

عَبَدة الشـيطان

كانت الصدمة أليمة ومفاجئة، حين طالعتنا وسائل الإعلام بخبر جماعة اتخذت الشيطان لها معبوداً . وهذه المشكلة قد تكون مألوفة فى مجتمعات الشرك والكفر، لكنها غريبة حين تظهر فى مجتمع إيمانى، آيات القرآن تتلى فيه صباحَ مساء، وسنة النبى ﷺ تملأ الآفاق .

والتأمل المتأنى للمشكلة - فى ضوء القرآن الكريم - يظهر أبعادها، ويقف بنا عند الحقيقة الواضحة البينة، دون غموض أو تحير .

لقد تناول القرآن المشكلة من لحظة الميلاد، وقصة السجود لآدم، والأكل من الشجرة المحددة، ثم التوبة من آدم، ثم أمر الله تعالى آدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض، قال تعالى :

﴿ قُلنا اهبطُوا منها جَميعًا فإمَّا يأْتينَّكُم منِّى هدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاى فلا خَوفٌ عَلَيْهِم ولاَ هُم يَحْزَنُون ﴾
[البقرة/٣٨] .

وأشارت آيات القرآن إلى نوع العلاقة بين بنى آدم والشيطان، وبينت أنها علاقة عدائية ؛ فهى لونٌ من الصراع بين الخير والشر، قال تعالى : ﴿ **إنَّ الشَّيْطَانَ للإنْسَانِ عدوٌ مُبِينٌ** ﴾ [يوسف /٥].

وفصلت الآيات أبعاد المشكلة، وأشارت إلى الحلول الشافية، حتى وصلت بنا إلى عرض للحظة الوقوف بين يدى الله عز وجل، وحساب الله تعالى لابن آدم على اتباع خطوات الشيطان، قال تعالى :

﴿ **أَلَمْ أَعْهَد إِلَيْكُم يا بَنى آدمَ أَن لا تَعْبُدوا الشَّيطان إِنَّهُ لَكُم عَدوٌّ مُبين * وأَن اعبُدونى هَذا صراطٌ مُستَقيم * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُم جِبلاًّ كثيراً أفلم تَكُونُوا تَعْقِلُون** ﴾ [يس/ ٦٠ : ٦٢].

الدوافع والأسباب .. المشكلة والواقع :

حين نعود إلى المنطوق الشامل الذى تناول به القرآن الكريم المشكلة إلى واقع المشكلة المعاصرة؛ نرى أن جماعة عبدة الشيطان صورة من صور التسلط الشيطانى على

قلوب خلت من إيمان بالله يحفظها، وعلى نفوس تربت على موائد فكرية مسممة ؛ فلم تستطع أن تتبصر أمرها فنال منها هذا السم الفكرى. ولعل هذا يدفعنا إلى بذل الجهد فى الوقوف على الأسباب والدوافع التى وراء هذه المشكلة، فأصابع الاتهام تشير إلى الأسباب التالية :

١ - غياب التربية الإيمانية على موائد القرآن والسنة يأتى فى قمة العوامل، فلا بد من إعادة النظر فى مناهج التربية الدينية والتمكين لها، والعمل على أن تكون واقعًا يعمل به.

٢ - الأفكار المخالفة لعقيدتنا الإسلامية وآدابنا الشرعية، والتى تأتى وافدة عبر الإعلام بوسائله المختلفة، فلقد أصبحنا - بقصد أو بغير قصد - نمكِّن لهذه الأمور دون وعى لخطورة النتائج المترتبة عليها، وفى يقينى أننا بهذا نعيد تجربة قاسية، حين سمح لبعض الأفراد فى فترة زمنية فى تاريخ هذا البلد أن يستوردوا الطعام الفاسد والدواء الفاسد، وكان من النتائج المدمرة لذلك

أن الضرر لم يسلم منه أبناء من تعجلوا الانتفاع المادى السريع دون مبالاة بالضرر الناتج عن ارتكاب هذه الأفعال.

٣ - الصورة التى وصلت إليها الأسرة المصرية من غياب للزوج طول الوقت أمام ضروريات الحياة فى دنيا الناس، ثم فى المقابل تخرج الزوجة طول الوقت إمّا لاستكمال ضروريات الحياة التى عجز الزوج عن الوفاء بها، أو بحثًا عن تحقيق ذاتها على حد تعبير حواء.

وإنى أتساءل : مَنْ للأبناء فى غيبة الآباء والأمهات ؟! مَنْ يصحح ؟! مَنْ يوجه؟! مَنْ يلاحظ ويراقب ؟!.

وأظن أن الدنيا كلها لا يمكن أن تقوم بدور الأم والأب عند فقده.

٤ - العملية التعليمية المعاصرة، وأنماط الشخصية التى وصل إليها المدرس المعاصر؛ قد نلتمس له العذر أمام التقصير فى بعض الأمور، لكن يبقى التساؤل : إن لم يكن لهذا المنبع الأخلاقى التربوى وجود فى حياة

أبنائنا، فأنَّى لهم الأسوة الحسنة ؟ وأين القدوة الطيبة؟ أم أن الأمر جعل الأسوة والقدوة - كما هو الواقع - منحصرة فى مجال كرة القدم والتمثيليات والأغانى، فى حين غابت هذه الأسوة عن مجال الدين والعلم والتربية والأخلاق ؟.

حتى فى مجال الدعوة والوعظ الدينى نجد كثيراً من علامات الاستفهام:

أولها : عدم التمكين لعلماء الأمة لصياغة عقل الأمة وفكر الشباب، وإقالة النماذج التى لها الكفاءة العلمية، والقدرة على التأثير الإيجابى فى واقع الأمة.. لمصلحة مَنْ؟!

ثانيها : الاختلافات التى تملأ الساحة والتى تصل إلى حد التناقض والخلاف، دون وعى عند عرض الأمور التى **فيها أكثر من رأى ،وعدم احترام الرأى الآخر، أو مناقشة الأمر بعيداً عن العصبية.**

وكم تؤلمنى الحيرة التى تظهر على وجوه الشباب

حديثى السن حين يشوش الخلاف عليهم الرؤية، ويعكر عليهم فرصة الاختيار ؛ مما جعلهم ينصرفون عن كل العمائم ويكفرون بها، باحثين عن أملٍ جديد .

والسؤال الآن : متى ترتفع هممنا للبناء لا للخلاف ؟ متى لا ينتصر أحد لهواه، ولا يتعصب أحد لرأيه ؟

لابد أن نصل لإجابات شافية لهذه الاستفهامات، قبل أن تصبح المشكلة هى الاختيار بين حلول المشكلة .

كل هذه الدوافع والأسباب كانت مقدمات أدت إلى هذه المشكلة، كما قال الشاعر :

هيهات تجنى سُكّرًا من حنظلٍ
فالشيءُ يرجعُ فى المذاقِ لأصله

الحـــــل :

القرآن يشير بدقة ووضوح إلى الحل، حيث قال تعالى :

﴿ قُلنا اهبطُوا منهَا جَميعًا فَإمَّا يَأتيَنَّكُم منِّي هدًى فَمَن تَبعَ هُدَايَ فَلا خَوفٌ عَلَيهم ولا هُم يَحزَنُون ﴾[البقرة/٣٨] .

وقد أفادت البشرية فى عمرها الطويل من هذا الحل.

ويشير واقع الإنسانية على اختلاف العصور إلى أن النجاة والخلاص والأمان يكون حين نتحلى بهدى القرآن الكريم وهدى السنة النبوية المطهرة.

وهذا الحل الإسلامي له أبعاد يمكن إجمالها فى التالى :

١ - الحرص على تعليم الشباب العلم الذى يقربه إلى الله عز وجل : علم الإيمان (العقيدة) ؛ حتى يحيط الشباب بالإجابات الشافية عن هذه الأسئلة الحائرة : ما هذه الحياة ؟ ولماذا وجد فيها ؟ وما سبيل الفلاح فيها ؟ وما المصير؟ وما سبيل الأمن والأمان فى الدنيا والآخرة ؟.

ستقدم الآيات الزاد الشافى الوافى، فتشكل الشاب تشكيلاً إيمانيًا، فيهتدى العقل الحائر ويمتلئ القلب الفارغ، وتطمئن النفس المضطربة. كما تقدم الآيات التعريف بالعدو الحقيقى للإنسان، وحجمه الحقيقى، وتكشف عن أساليبه الماكرة، وتقدم الحلَّ بسياسة الخطوة خطوة، من

ذلك قوله تعالى :

﴿ **ولا تَتَّبِعُوا خُطُوات الشَّيْطان** ﴾ [البقرة/١٦٨].

إن الشيطان لا يرضى من الإنسان معصية فحسب، بل غاية ما يرضاه الكفر، وبعد أن يوقعه فى الكفر، يتبرأ منه، قال تعالى :

﴿ **كَمَثَل الشَّيْطان إذْ قَالَ للإنْسَان اكفر فلمَّا كَفَرَ قَال إنِّى برىء منْكَ إنِّى أخَافُ الله رَبَّ العالمين** ﴾ [الحشر/١٦].

وصدق رسول الله ﷺ حين يقول : « فقيهٌ واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابدٍ » ،و قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

٢ – تربية النفس على الطاعة، وتعويدها على التزام ذكر الله عز وجل ؛ فالذكر والطاعة حصنٌ وحماية، قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ اتَّقَوا إذا مَسَّهُم طَائفٌ من الشَّيْطان تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُبصرُون** ﴾ [الأعراف /٢٠١] . وقال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [الرعد / ٢٨].
وقال عز من قائل : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكرِ الرَّحمَنِ نُقَيضْ لَهُ شَيطانًا فهو لَهُ قَرين** ﴾ [الزخرف/٣٦].

وقدمت السُّنة ألوانًا من الذكر تشمل جوانب الحياة من

مأكل ومشرب وحركة وسكون ؛ حتى يكون الإنسان فى مأمن من هذا العدو اللدود.

٣ - البيئة الإيمانية التى ينبغى أن نقدمها للشباب ليرى فيها الأسوة والقدوة ويعيش فيها نسمات الإيمان والرحمة والسكينة والاطمئنان.

ولا أظنُّ أن هذه البيئة يستطيع أن يقدمها ملهى أو مرقص أو سوق تجارى !

إن للهداية بقاعًا تُلتَمس فيها، وروضات هى منبع لها، وتتمثل في المساجد ومجالس العلم والذكر.

عهد ووعدٌ :

هذه المشكلة : « عبدة الشيطان » تناولها الإعلام بشتى وسائله، وأرجو أن لا يقتصر حظ المشكلة على الإعلان عنها فقط، أو المناقشة السطحية السريعة لها، بل لابد من نهوض المختصين لبحثها، وتحديد أنسب السبل التطبيقية للعلاج، ووقف نزيف جسد الأمة المتمثل فى شبابها المستهدف من أعداء الأمة.

وأخيرًا .. بعد العلم بأبعاد المشكلة وسبل الحلول والعلاج، أرجو أن يكون بيننا عهد واحد هو : أن نعمل.

هل الطيبون هم التعساء؟!!

تقولون: إن من أطاع الله عاش سعيداً في حياته الدنيا قبل الآخرة، وتستشهدون بقول الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحًا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّه حياةً طيبة** ﴾ [النحل/٩٧]، لكن الواقع يشهد أن الطائعين الصالحين هم أكثر الناس تعبًا، فالرجل الأمين الشريف في عمله فقيرٌ في الغالب ،والمزورون هم الذين يتمتعون .. إلخ، والقياس يكون على العموم، أما النادر فلا يقاس عليه. وإذا شكونا هذا الحال قلتم لنا: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ [البلد/٤]، «القابض على دينه كالقابض على جمرٍ»، «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»، «يبتلى الرجل على حسب دينه».

مناقشة المفهوم :

١ - يجب أن تزن بميزان الله عز وجل، فإن كنت تزن بميزان الدنيا وأهلها فالنتيجة مضللة، بمعنى أنك إن

جعلت ميزان الحياة الطيبة فى مظاهر الدنيا : فى الزوجة والولد والمال الوافر والصحة والسيارة والمنصب... إلخ، فإنك تعطى هذه الأشياء أكثر من حجمها، فلا تصبح وسيلة فقط ،بل يعظم الارتباط بها حتى تصبح غاية فى حد ذاتها يشقى من أجلها الإنسان، وبدلاً من أن تصبح وسيلة لإسعاد الإنسان، يصبح الخوف عليها والسعى إليها مصدراً من مصادر القلق والإزعاج للإنسان، إلى حد يعبر عنه القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ [التغابن/ ١٥] ، والآية تنقلنا إلى مفهوم عميق.

ثم بعد ذلك، من الوهم أن يظن الناس أن السعادة فى هذه الأشياء : الزوجة، الولد، المنصب. وينسون أنها وسائل يمكن أن يكون بها الشقاء كما تكون بها السعادة. فمشاكل المال أيًا كانت صورته، حين لا يتقى الإنسان ربه فى هذا المال تدركه لعنة المعصية فى الدنيا ويصيبه شىءٌ من شؤم المعصية، فمثلاً تمحق البركة بسبب التعامل بالربا...إلخ.

ومشاكل الزوجة الجميلة حين لا تكون على ترتيب الإيمان، ربما جعلت حياة زوجها شيئاً من التحير والأرق والغيرة القاتلة التى قد تؤدى إلى انحرافات كثيرة، بل بسببها يمكن أن يخون ويختلس من الأموال التى هى أمانة عنده .. إلخ .

ومشاكل المنصب، حين يظن الإنسان أنه قادر على الناس، وأن الناس دونه؛ تصيبه مشاكل كثيرة بينه وبين الناس، بل بينه وبين نفسه، وهكذا إن تعقبت كل أمرك .

إذن .. هذه الوسائل يمكن أن تكون أدوات تدمير للإنسان، كالذى يغريه كثرة المال ليشرب محرمًا ؛ فيقع فريسة للشيطان من أوسع أبواب المعصية، وتفسد حياته، ويذهب ماله، ويرتكب من الفواحش ما كانت تأباه نفسه .

وحياة الغرب أكبر دليل على ذلك؛ ففى السويد فتحت أقسام فى المستشفيات هناك للانتحار، وأجمل بنات العالم هناك فى الحدائق!! هناك فى الغرب تجد أن الوسائل المادية فى قمتها، لكن معدلات التعب النفسى

تسجل القمة فى ذلك، فى أرقى دول العالم. لعل كل ذلك يؤكد حقيقة هامة، هى أن هذه الوسائل مجرد أدوات يمكن أن تكون سبب سعادة، ويمكن أن تكون سبب شقاء.

وإلى الآن لم يقدم فى الحديث السبيل إلى السعادة من واقع عملى يزيل الالتباس فى المفهوم.

صاحبى، اعلم بعد ذلك أن السعادة شعور من الداخل، ومشاعرك وكل ما يجرى على قلبك جعله الله نتيجة لفكرك أى لاعتقادك، ونتيجة لقولك وما يجرى على لسانك، وثمرة لعملك وفعلك . .هذه الثلاثة تشترك مجتمعة فى تشكيل مشاعر الإنسان فى القلب منبع السعادة.

فمثلاً المعصية لها أثر على القلب؛ إذا أذنب العبد ذنبًا نكتت فيه نكتةٌ سوداء ؛ ومن الذنوب ما يذهب بهاء الوجه ونور الوجه، حتى وإن كانت التقاسيم جميلة وسيمة. ومن الطاعات -كالصوم وقراءة القرآن وحسن

الظن وقيام الليل- ما يجعل الوجه له إشراقه حتى ولو كان أسود أو كان لا يتمتع بحظ من الوسامة وجمال التقاسيم : ﴿ وجوهٌ يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة / ٢٢، ٢٣] .

فإن كان النظر إلى شيء تكرهه النفس بدت لذلك علامات غير مستحبة على الوجه، والنظر إلى شيء حسن جميل يترك في الوجه أثرًا طيبًا .. هذا بالنسبة إلى الخلق، فكيف بالنظر إلى الخالق جلّ وعلا ؟!

إن للطاعات أثرًا في نفسية الإنسان، وحين يؤمن الإنسان يعلم أن الله سيجعل سعادته فيما يرضيه، وبهذا تكون السعادة .. حين يكون الهدف، الغاية، والطموح، الأمل .. هو الله .. وكلّ شيءٍ بعد ذلك هو وسيلة .

يمكن أن يكون البلاء بالنسبة للمؤمن وسيلة للرفعة والرقى ؛ لذا كان النبى ﷺ يقول فى دعائه : « اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء إلا بلاءً فيه علاء » .

هكذا يجد المؤمن أن الحياة الطيبة تكون بهذا المعنى،

ولا تعارض بين الحياة الطيبة وبين البلاء.. لكن كيف يجتمع الابتلاء مع الحياة الطيبة ؟.

بالرضا، فمهما عظم البلاء، واشتد علم المؤمن أنه مع الله، وأن فعل الحكيم لا يخلو عن حكمة، وأن الصبر له الجزاء الأوفى فى الآخرة - يستقبل العبد إن صح الإيمان فى قلبه كلّ الحوادث والأحوال، السرَّاء والضراء، بالرضا عن أمر الله تعالى ؛ فلا يسأم ولا يضجر.

حين يفهم المؤمن أن المستقبل هو الآخرة ويسعى لهذا المستقبل ... تطمئن نفسه وينال السعادة الحقة، لذلك جعل الله تبارك وتعالى فرح المؤمن مرتبطًا بالطاعة، وبرضا الله عنه. إذ : ما قيمة الأشياء إن كان الله لا يرضى عن العبد ؟

نسأل الله أن يتولانا ، وأن يرضى عنا ،

والحمد لله رب العالمين.

نفسك التى بين جنبيك

الإنسان شغوف دائمًا للتعرف على ذاته، على نفسه، ما النفس ؟ وما أوصافها ؟ وكيف تتمايز النفوس إلى خيرة أو شريرة، وقامت من أجل ذلك علوم لدراسة النفس البشرية دراسة منهجية، وواجهت هذه الدراسات صعوبات لعل من أهمها صعوبة التحكم فى عينة الدراسة أو فصل الجزئية المراد دراستها؛ لذلك كانت النتائج بعيدة عن اليقين، وما زالت رحلة المعرفة تستكشف كل يوم جديداً، لكن خالق النفس العليم بأمرها يقدم لنا زاداً من المعرفة الحقة عن النفس الإنسانية.

النفس وصلتها بالروح :

ما عليه جمهور أهل السنَّة والجماعة أن النفس: هى الروح ؛ لقول الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ [الزمر/٤٢]، وحديث النبى ﷺ فى الدعاء عند النوم : « فإن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » (البخارى).

والنفس أو الروح هى ذلك السر العظيم الممنوح بقوة الله تعالى لهذا الجسد الترابى، ليبعث فيه الحياة، فتنظر العين وتتحرك اليدان والرجلان ويدق القلب ويفكر العقل. والنفس تطلق فى القرآن على الذات بجملتها، كقوله تعالى: ﴿ **ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم** ﴾ [النساء/٢٩]، ﴿ **يومَ تأْتى كلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نَفسِها** ﴾ [النحل/١١١]، ﴿ **كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ** ﴾ [المدثر/٣٨].

فحديث القرآن عن النفس أو الروح يصرف الأمة عن التفكر أو البحث فى ذات النفس أو الروح؛ لأنه خارج عن طاقتهم وقدرتهم وعلمهم؛ إنه مما اختص الله به، قال تعالى: ﴿ **ما أشْهَدتُهُم خَلْقَ السَّماوات والأرضِ ولا خَلْقَ أَنفُسَهِم ومَا كُنْتُ متَّخذ المُضلِّينَ عضُداً** ﴾ [الكهف/٥١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَيَسْأَلُونَك عن الرُّوح قل الروح مِنْ أَمرِ رَبِّى ومَا أوتيتُم من العلمِ إلا قليلاً** ﴾ [الإسراء/٨٥].

لكن القرآن يركز على ما يزكى هذه النفس ويرغِّب فيه، ويرغِّب عما يدنس هذه النفس، يرهب منه ويبغِّضُ

فيه، ألستم تقرأون : ﴿ **ونفسٍ ومَا سوَّاها * فألْهمَها فُجُورها وتقواها * قد أفلح من زكَّاها * وقد خاب من دسَّاها** ﴾ [الشمس/٧-١٠]. والإلهام هنا بمعنى: الإفهام والإعقال، مثل قوله تعالى : ﴿ **وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ [البلد/١٠].

وبشر الله من خالفوا هوى النفس بجنته فقال : ﴿ **وأَمَّا مَن خَافَ مَقامَ رَبِّه ونَهى النَّفْس عَنِ الهوَى * فَإِنَ الجَنَّةَ هى المأْوَى** ﴾ [النازعات/٤٠، ٤١].

مراتب النفس فى القرآن:

قسَّم القرآن الكريم النفس إلى أنواع ثلاثة :

١ - **الأَمَّارة** : وهى أدنى أوصاف النفس، حين تألف الشر وتأمر صاحبها به، وتزينه له، وفيها يقول ربنا : ﴿ **إن النفس لأمارةٌ بالسوء** ﴾ [يوسف/٥٣].

٢ - **اللوامة** : وهى درجة متوسطة للنفس، فهى تبغض الشر وتلوم صاحبها على فعله، ولكنها لا تسلم من الوقوع فى الآثام، لكن اللوم يعذب صاحب هذه

النفس بعد معصيته، وهى نفس سمت وارتفعت عن أوصاف النفس الأمارة بالسوء، وهى التى أقسم الله بها فى قوله : ﴿ **ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامة** ﴾ [القيامة/٢].

٣ - **المطمئنة** : وهى أسمى مراتب النفس، وهى التى تطمئن بالخير وتأمر صاحبها به، وهى التى سمت وارتفعت عن أوصاف النفس اللوامة، وحدثنا عنها القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى** ﴾ [الفجر / ٢٧ - ٣٠].

وهذا التقسيم لا يخالف ما عليه تصنيف أحبابنا أهل التصوف، إذ لهم تفريعات من هذه الأقسام.

ولا يحسب أحد أن النفس تنتقل من الأمارة إلى اللوامة أو من اللوامة إلى المطمئنة دفعة واحدة، بل النفس تؤخذ بما غلب عليها من الصفات. والنفس واحدةٌ، فإن تُرِكَت للشيطان كانت أمارة، وإن اقتربت من منهج الرحمن كانت لوَّامة، وإن تشبعت بمنهج الله فأخبت

الرحمن وخاصمت الشيطان صارت مطمئنة.

منهج قرآنى لتهذيب النفس وتربيتها :

أهل الإيمان مخاطبون من الله تعالى بعدم ترك النفس تسرح وتمرح وتلهو وتلعب فى ميدان الجهلة والعصاة ؛ لأن النفس كما قال البوصيرى :

والنفسُ كالطفل إن تهمله شَبَّ على
حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

واستمع معى لهذا النداء الإيمانى فى القرآن الكريم :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا عَليْكُم أَنْفُسَكُم لا يضرُّكُم مَن ضَلَّ إذا اهتَديتُم إلى الله مَرْجِعكُم جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بما كُنْتُم تَعْمَلُون ﴾ [المائدة / ١٠٥].

ما أسعدنا ونحن ننعم ونفيد من تفسير رسول الله ﷺ لهذه الآية ؛ فهو أعلم الناس بالقرآن، كيف لا وعليه قد أنزل ؟ كيف لا وسنته بيانٌ للقرآن ؟ فعن أمية الشعبانى قال : سألت أبا ثعلبة الخشنى، قلت: يا أبا ثعلبة، كيف

تقول في قول الله عز وجل : ﴿ **يا أَيُّها الذين آمَنُوا عَلَيْكُم أَنفُسَكُم..** ﴾ [المائدة/١٠٥] ؟ قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى مُتبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من وراءكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قيل : يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منَّا أو منهم ؟ قال : بل أجرُ خمسين منكم » .

هذا لمن أقام كتاب الله فى نفسه وربَّى نفسه على موائد رسول الله ﷺ ، فى زمان فشت فيه المعصية وساء العمل، وازداد الفسوق، وعمَّ الترف، وكثرت الشهوات. سيكون له أجر مضاعف مثل أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ .

فإن ترك الإنسان نفسه فماذا ينتظر ورسولُ الله ﷺ يقول فى شأنها : « **أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك** » ؟ .

ولاشك أن كل واحدٍ منا يجد من نفسه أموراً لا ترضى الله تعالى، فكيف السبيل وكيف الخلاص ؟

الخلاص فى أمور أربعة : المشارطة، المراقبة، المحاسبة، المعاتبة .

١ - المشارطة :

المؤمن مكلف بطاعة الله تعالى، فعليه أن يتوب ويشارط نفسه على التزام طاعة الله وإقامة كتاب الله فى أقواله وأفعاله، وأن مرجع أسوته وقدوته رسول الله ﷺ .

٢ - المراقبة :

على المؤمن أن يتابع نفسه ويلاحظها ويراقبها فى سرها وعلنها، يقول البوصيرى :

وراعِها وهى فى الأعمال سائمةٌ

وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

كم حسَّنَتْ لذة للمرء قاتلةً

من حيث لم يدر أن السُّمَ فى الدَسَم

وليعلم أن الرقابة الإلهية تسجل كل مخالفة، وحسبنا

ردعًا قول ربنا البارى سبحانه : ﴿ **إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء/١]، ﴿ **إنه يعلم الجهر وما يخفى** ﴾ [الأعلى/٧]، ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ [العلق/١٤].

٣ - المحاسبة :

على الإنسان أن يسجل على نفسه ما اقترف من إثم وما فعل من معصية، وأن يحاسب نفسه : ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُوا اتقوا الله ولتَنْظر نَفسٌ مَا قَدَّمَت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون** ﴾ [الحشر/١٨]، وسيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ».

٤ - المعاتبة والمعاقبة :

كان الفاروق عمر - رضى الله عنه - يعاقب نفسه فيضربها ويوبخها.

ولعل هذه المعانى غريبة فى عصر الإشباع المادى الذى يسعى فيه كل إنسان متفننًا مجتهدًا كيف يمتع نفسه، لا كيف يهذب نفسه.

سيدنا عمر حدثته نفسه يومًا بسوءٍ، وحديث النفس معفىٌّ عنه لا يحاسبنا الله عليه، لكنَّ عمر لم يسمح لنفسه بذلك، وذهب إلى المسجد والناس جموعٌ بالمسجد، فصعد المنبر ونادى بأعلى صوته : « أيها الناس، إن نفسى حدثتنى بسوء، فأقسمت بالله عز وجل أن أفضحها أمامكم كى لا تعود إلى مثل ذلك أبداً » .

فعليك أيها المؤمن أن تكون متهمًا لنفسك، مراقبًا لها، محاسبًا، معاتبًا، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، يقول سيدنا النبى ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

حديث النفس :

روى مسلم والترمذى عن أبى هريرة –رضى الله عنه– قال : قال النبى ﷺ : « عُفى عن أمتى ما حدثت بها أنفسها » .

فما هو حديث النفس الذى عفى عنه ؟

هو مثل حديث عثمان بن مظعون الذى رواه مسلم والترمذى والنسائى : قال عثمان بن مظعون : يا رسول الله، نفسى تحدثنى أن أطلق خولة. فقال : « مهلاً ؛ فإن من سنتى النكاح ». قال : نفسى تحدثنى أن أَجُبَّ نفسى. قال : « مهلاً؛ إن خصاء أمتى دؤوب الصيام ». قال : نفسى تحدثنى أن أترهب بنفسى. قال : « مهلاً، رهبانية أمتى الحج والجهاد ». قال : نفسى تحدثنى أن أترك اللحم، قال : « مهلاً، فإنى أحبه، ولو أصبته لأكلته، ولو سألته ربّى لأطعمنى ».

فمثل هذا حديث نفس لا تنعقد النية على فعله ولا يقوم العزم على تنفيذه، بل هى خطرات تمرُّ بالنفس، فهذا معفى عنه.

أما اعتقاد القلب، فهو انعقاد النية وقيام العزم على فعل شيء، فهذا محاسبٌ عليه العبدُ، فإن رجعَ عن نيته

السيئة فقد تاب إلى الله تعالى، وإن أنفذ ما حدثته به نفسه وقعَ فى المعصية، ولهذا قال البوصيرى :

وخالف النفسَ والشَّيطانَ واعصهما

وإن همـا محَّضَـاك النُّصْحَ فَاتَّهم

فاختر لنفسك أيها المؤمن ما تحبُّ أن تكونه، ﴿ **وَلِكُلٍ وجهةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخيرات** ﴾ [البقرة/١٤٨].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

علام التعالى وفيم التفاخر؟!

شَرَّف الله أهل الإيمان، فخصَّهم بنداءات إيمانية فى القرآن الكريم يأمرهم فيها بفعل الخيرات وترك المنكرات؛ كى يكونوا أهلاً لمنزلة الإيمان التى أكرمهم بها، ومن بين هذه النداءات الإيمانية قول الله تعالى :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾ [الحجرات / ١١، ١٢].

وكى نستشعر فضل الله فى هذا النداء، نسأل أنفسنا فى رحاب هذه الآية الكريمة : من المنادِى ؟ ومن المنادَى عليه؟ ومن الذى بلَّغ النداء ؟ .

وإن كان كل نداء يأخذ قدرَه وقيمته من قدر المنادى، فالمنادى هنا هو الله رب العالمين .

وأما المبلغ للنداء فهو الحبيب الشفيع، الرؤوف الرحيم بأمته، إنه رسول الله ﷺ .

وأما المنادى عليه فكل عبد آمن بالله تعالى ربًّا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد نبيًّا ورسولاً .

وأما موضوع النداء فهو النهى عن جملة من الأخلاق السيئة التي لا ينبغى أن يتصف بها المؤمن .. أولها : ﴿ **لا يسخر قومٌ من قوم** ﴾ .

ومن وُدِّ الله لعباده المؤمنين أن يخاطبهم بشكل مقنع، فيقرن الله النهى بسببه وعلته، كى يكون النهى أوقعَ فى العقل والقلب ؛ فقال سبحانه : ﴿ **لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ .

وتأمل معى أخى المؤمن : إن كان الناس كلهم لآدم وآدم من تراب فعلام التعالى وفيم التفاخر ؟!

قد يتعالى بعض الناس بأموالهم أو بمناصبهم، أو

بعلمهم، أو بقوتهم، أو بغير ذلك .. من نعم هى من فضل الله تعالى .. قال تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ [النحل/٥٣] .

والنعم تستوجب الشكر للمنعم لا أن نتعالى بها على الناس، وتبين الآية أن المسخور منه والمُستَهزأ به ربما كان قدره عند الله أغلى وأكرم .

وفى الصحيحين عن سهلٍ بن سعدٍ الساعدى -رضى الله عنه- قال : مرَّ رجل على النبى ﷺ، فقال لرجلٍ عنده جالس : « ما رأيك فى هذا ؟ » فقالَ : رَجُل من أشراف الناس هذا والله حَرِىٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع . فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ آخر، فقال له رسولُ الله ﷺ : « ما رأيك فى هذا ؟ » فقال : يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حَرِىٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع لا يشفع، وإن قال لا يُسمع لقوله . فقال رسول الله ﷺ : « هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا » .

وروى مسلم عن عياض -رضى الله عنه- قال رسول الله

ﷺ : «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبغى أحد على أحد ».

وربما كان التباهي بالزينة والجمال أكثر شيوعًا بين كثير من النساء فعطف الله بالنهى الخاص بهن: ﴿ **ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** ﴾.

ثم تعرض الآية لنهى جديد: ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أى: لا ينبغى أن يعيب بعضكم بعضًا؛ لأن المؤمنين كلَّهم كنفس واحدة؛ فمتى عاب المؤمن أخاه فقد عاب نفسه.

ثم يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾؛ فلا ينبغى لمن أكرمهم الله بالإيمان أن يدعو بعضهم بعضًا بألقاب مكروهة سيئة، والنبى ﷺ كان يدعو أصحابه بأحب الألقاب وأحسنها، مثل لقب الصديق لأبى بكر رضى الله عنه، ولقب الفاروق لعمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فنداء أخيك بما يحب فيه تأليف لقلبه ورعاية للمودة

والمحبة التى يزكيها الإسلام بين أهل الإيمان.

ثم تدعو الآية من اقترف شيئًا من هذه النواهى أن يتوب وأن يكف عن ظلم نفسه .. قال تعالى : ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾.

ثم يجدّد الله النداء لتأكيد النهى ولفت الانتباه إلى خطورة هذه المعاصى، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ والاجتناب غير الفعل، فالاجتناب ترك الدواعى والأسباب المؤدية إلى الشىء، والظن هو التهمة التى لا دليل عليها، ولا برهان لها، ولقد نهى النبى ﷺ عن الظن؛ جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث » ؛ ثم تنهانا الآية عن التجسس وهو التماس عيوب الغير والبحثُ عنها، ونهانا عنه أيضًا رسول الله ﷺ ؛ ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا».

ثم يأتى فى ختام المنهيات فى هذه الآية النهى عن الغيبة، وشبه المغتاب تشبيهًا ينفر المؤمنين منه وأورده بصورة استفهامية تثير العقل ليلفت انتباه الغافل، ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه** ﴾.

ولقد حدد النبى ﷺ معنى الغيبة، فقد روى مسلم عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبةُ ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَته».

اللهم خَلِّقنا بخلق القرآن، وأدبنا بأدب نبى القرآن ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

لحوم البشر.. أشهى مأكولات العصر

هل خطر ببالك أن يكون أحد الأصحاب وجبة شهية لا يشبع منها الرفاق إذا اجتمعوا ؟ ولا يملون تكرار تناولها كلما جلسوا.

ماذا يكون شعورك نحو الذابح والذبيح .. ؟

هل يمكن أن تمتد يدك لتأكل لحم أخيك وأنت على يقين أن لحمك هو طعام الوجبة القادمة .. ؟

أظن أن البشر على اختلاف أجناسهم ومللهم ينظرون إلى فعلة كهذه نظرة التأذى والاشمئزاز .

والآن هيئ نفسك لتتلقى هذا التقرير الذى يعبر عن واقع موجود فى حياتنا ..

« نحن نمارس هذه الفعلة فى اليوم مرات ومرات، بل وبشهية كبيرة ».

والحالة بهذه الصورة حالة مَرَضِيَّة تستوجب العرض على أشعة الهداية القرآنية لتشخص المرض بدقة ووضوح، ثم نلتمس من القرآن والسنة سبل الشفاء.

قال الله تعالى : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾ [الحجرات / ١٢].

وأخرج أبو داود عن أنس -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال : « مررت ليلة أُسْرِىَ بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم، فقلت : يا جبريل، ومن هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم ».

يحدد النبى ﷺ بدقة ووضوح معنى الغيبة ذلك فيما رواه مسلم من حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة » ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم.

قال : « ذكرك أخاك بما يكره »، قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ».

ولا تقتصر الغيبة على اللسان فكل ما يظهر معنى

الغيبة ويقوم مقام لفظها ويؤدى معناه من فعل أو إشارة أو كتابة فهو غيبة، ويشهد لذلك ما رواه ابن أبى الدينا وابن مردويه عن عائشة -رضى الله عنها- قالت : « دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى أنها قصيرة » فقال ﷺ : « اغتبتيها ».

وكما أن الحديث بالغيبة حرام فسماعها حرام أيضًا؛ إذ فيه لون من مشاركة المتحدث فى الإثم، وانصراف المؤمن عن المغتاب فيه لون من النهى العملى عن الغيبة، وعدم إتاحة الفرصة لإتمام عملية الغيبة، بل له أن يعظه وينهاه بالقول إن كان ذلك لائقًا به، ويتأتى منه لقول النبى ﷺ فيما رواه مسلم من حديث تميم بن أوس الدارى: « الدين النصيحة ».

واجتمعت كلمة أهل العلم على أن كفارة الغيبة تكون بالتوبة أولاً ثم الاستحلال إن أمكن، لقول النبى ﷺ فيما اتفق عليه من حديث أبى هريرة -رضى الله عنه-: « من كان لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليستحله منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار أو

درهم، إنما يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه».

فإن سبب الاستحلال ضرراً أكبر، أو لم يكن ممكنًا لموت من اغتابه أو عدم معرفة مكانه.. إلخ، فعليه أن يكثر من الثناء والدعاء لمن اغتابه لقول النبى ﷺ فيما أخرجه ابن أبى الدنيا : «كفارة من اغتبته أن تستغفر له».

أخى المسلم... فكر جيداً.

* لِمَ تُحكِّم من تغتابه فى حسناتك (الثروة النافعة فى الدار الآخرة) ... ؟!!

* بل وتتحمل من سيئاته إن أنهى على حسناتك .

* كيف تنفق نعمة الوقت فى عمل غير صالح ؟!

أخى المسلم .. اعتذر ولا تجلس على هذه الموائد .. إنها موائد مسممة .. مدمرة، وأتح لنفسك فرصة القرب من أنوار هداية القرآن وبركة السنة .

اللهم طهر ألسنتنا وجوارحنا من كل ما لا تحب، وجمِّل ألسنتنا وجوارحنا بكل ما تحب.

الإسلام وحرية الإبداع

ما أكثر الدعاوى الباطلة التى أُلصقت بالإسلام، فمن قائل: إن الإسلام يحجر على العقل، وقائل: إن الإسلام يقيد حرية الإنسان وحرية الإبداع ... إلى آخر هذه الأباطيل التى تكشَّفَ زيفها وحنقها على الإسلام أو جهل أصحابها بهذا الدين.

وقبل أن نتحدث عن حرية الإبداع فى الإسلام، سنحاول تحديد المفهومين: الحرية، والإبداع.

والحرية فى الإسلام تعنى الانعتاق والتخلص من كل القيود، بما يتيح للإنسان فرصة الارتقاء وتحقيق الرسالة المنوطة به.. رسالة تعمير الأرض لا بالنسل والزراعة والصناعة فحسب، بل أيضًا تعميرها بالمعانى العظيمة والأفكار المتطورة التى تضيف إلى الحياة البعد الإنسانى.

إن أول ما يحرص عليه الإسلام هو تحرير الإنسان من كل عبودية أو خضوع لغير الله عز وجل.. حرية النزوع الفطرى فى الإنسان إلى السمو والرقى، بدءاً من حرية

الاعتقاد وانتهاء بحرية الرأى والقول والفعل. إن الخطوة الأولى نحو الحرية تبدأ من سقوط الأصنام.. كل الأصنام التى تذل الإنسان أو يذل هو كرامته لها.. أصنام الآلهة المزيفة، والأصنام البشرية بكل أشكالها من حكام وكهنة وسحرة ولصوص وأشقياء، والأصنام التى تسكن داخل النفس الإنسانية من الشهوات القاهرة والنزعات المهلكة .. أسقط الإسلام كل هذه الأصنام منذ كانت دعوته ﷺ إلى ترك عبادة الأصنام والاعتراف بوحدانية الله، وأنه لا إله إلا الله، وكانت آخر مرحلة من مراحل سقوط الآلهة المزيفة بمعول الدين الحق عند دخول الرسول ﷺ مكة، وتحطيمه الأصنام التى وضعوها حول الكعبة كرمز لسقوط كل ألوان العبودية المذلة، والدخول فى العبودية لله الحق .. فكان فتح مكة فاتحة عصر جديد يحمل فكرًا جديدًا، وقيمًا جديدة .. وكان من بين أهم هذه القيم : الحرية.

فماذا عن مفهوم الإبداع من المنظور الإسلامى ؟

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم**

عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [المؤمنون/١١٥].

إنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة له فى الأرض ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ [البقرة/٣٠]، ثم أمد الله خليفته بإمكانات لم يؤتها أحدًا من خلقه آتاه العلم :﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ [البقرة/٣١]،ثم أسجد له الملائكة رمزًا للتكريم والتشريف: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** ﴾ [البقرة/٣٤] ، ثم منَّ الله على الإنسان بنعم لا تحصى.. العقل والإرادة والقدرة العضلية والمخيلة (القدرة على الابتكار)؛ لأن الإنسان لن يكون مجرد كائن فى كون الله، بل كائن له طبيعة خاصة وقدرات خاصة تناسب رسالته وكرامته عند الله ؛ جاء الإنسان ليضيف إلى الحياة بما أوتى من الإرادة الحرة والقدرات الخلاقة أبعادًا جديدة .. أى ليبدع. والإبداع يتخذ مظاهر كثيرة: الإبداع الفكرى، الإبداع العلمى، الإبداع الفنى؛ أليس الله يقول : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ [الإسراء/٣٦].

لا أحد يستطيع أن ينكر أن الإسلام قد أعطى الأمة العربية انطلاقات كبيرة، وأمدها بطاقات جبارة.. فلأول مرة فى تاريخ العرب يكون لهم دولة واحدة ونظام سياسى واضح الملامح .. هذه الدولة التى امتدت بالفتوحات الإسلامية لتصبح دولة مترامية الأطراف وحضارة متميزة عن كل ما سبقها ولحقها من حضارات.. لقد أطلق الإسلام كل قوى الإبداع التى كانت معطلة أو مخبوءة تحت ستار من الخرافات والضلالات والجهل والتشرذم والبدائية.. جاء الإسلام منهاجًا لحياة الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، فدبّت الروح فى الملكات الإبداعية عند الناس، فانطلقوا فى فجاج الأرض وأسقطوا حضارتين : حضارة الفرس وحضارة الروم، ليحلوا محلها حضارة الإسلام العملاقة.. انطلقوا يزرعون ويصنعون ويبدعون فى كل مجالات الإبداع؛ ﴿**قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾[العنكبوت/ ٢٠]، والتاريخ شاهد على ما أنجزه المسلمون من إبداعات فى مجال العلم، فكان منهم علماء الكيمياء (جابر بن حيان

مثلاً)، والطبيعة (الحسن ابن الهيثم) والطب (الرازى والزهرى وغيرهما كثيرون)، والفلسفة الإسلامية التى كانت فى عصرها ذروة للفكر الراقى والتأمل فى كون الله، فكان هناك ابن رشد وابن سينا والكندى والفارابى، وغيرهم.

وكانت الفلسفة الإسلامية أبنية فكرية شامخة لا تقل عن الفلسفة اليونانية فى عمقها وشمولها، بل تتجاوز منجزات اليونان الفكرية والعقلية. ثم الإبداع الفنى.. كان للعرب قبل الإسلام فن واحد هو الشعر، وبعد الإسلام تطور الفن العربى القديم، ونشأت أنواع فنية جديدة .. برز دور الخطابة والنثر والكتابة النثرية.. فكان الجاحظ وأضرابه للكاتب الموسوعى، حتى تجاوزت مؤلفات الجاحظ الثلاثمائة كتاب ما بين بحث علمى طبيعى وعلوم إنسانية كالنقد والتاريخ ورسالة فنية كالرسائل المعروفة باسم رسائل الجاحظ.

لقد تطور الشعر العربى بعد الإسلام حتى وصل هذا

التطور قمته عند أبى الطيب المتنبى وأبى تمام وأبى العلاء المعرى.. وظهرت مذاهب فنية جديدة وتيارات فنية كاملة. ولم يكن الشعر - بوصفه الفن العربى الأول والأهم- ترفًا فى حياة الناس، بل كان جزءاً لا يتجزأ من حياتهم.. وقد تطور الشعر العربى قلبًا وقالبًا أو شكلاً وموضوعًا بعد الإسلام.. تطورت الأفكار والمعانى وخرجت القصيدة العربية من حصار الصحراء إلى رحابة الحياة فى ظل الحضارة، وحسبنا أن نلقى نظرة على الشعر العربى فى الأندلس الإسلامية لندرك القفزة الكبيرة التى انتقلت بالشعر من جو البادية إلى أجواء الحضارة .. من الخيال الساذج إلى الخيال العميق الممتزج بالفكر العميق والرؤية الواضحة.

ليس الشعر وحده هو الذى تطور بعد الإسلام، بل تطورت الخطابة، فظهرت الخطابة السياسية والتعليمية، ولم تكن الخطبة قبل الإسلام أكثر من جمل مسجوعة متوازنة، والأفكار التى تحملها لم تكن أكثر من نعرات

قبلية بدائية، فصار لها فى الإسلام موضوعات جديدة اجتماعية ودينية وسياسية، واهتمامات وأفكار جديدة، والأمثلة كثيرة.. خذ مثلاً خُطَب الخلفاء الراشدين وبخاصة الإمام على، وخطب معاوية، وواصل بن عطاء، والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهم من كبار الخطباء. وظهرت فنون جديدة على العربية، مثل فن الرسالة كرسائل الجاحظ، وفن المقامة، كمقامات بديع الزمان الهمذانى والحريرى، وهناك القصة الفلسفية مثل (حى بن يقظان) التى كتبها الفيلسوفان المسلمان ابن طفيل وابن سينا، وأدب الرحلات الذى كان علمًا وأدبًا فى آن واحد مثل كتابات المسعودى وابن بطوطة وغيرهما من الرحالة المسلمين.

كل هذا يدلنا على حقيقة أن الإسلام أطلق الملكات من عقالها، وفتح الأبواب كلها أمام الإبداع والمبدعين فى كل نواحى الحياة الإنسانية.. فنشطت العقول، وانطلقت القدرات الابتكارية لتبدع وتضيف وتبتكر وتصوغ فكرًا جديداً وقيمًا جديدة وحضارة جديدة.

والذين يدَّعون أن الإسلام قيد حرية الإبداع أو حجَّمها لا يستطيعون أن يدللوا على دعواهم بمثال واحد .. إن أحداً لم يذكر أن كتاباً أحرق فى تاريخ الإسلام .. أو أدين مفكر أو عالم أو مبدع، إلا ما كان من أمر الحلاج، فأين الحجر على العقل وأين القيود التى فرضها الإسلام – ديناً أو نظاماً سياسياً – على حرية الإبداع؟! وإذا كانت حرية الإنسان فى اختيار دينه مكفولة بنص القرآن : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾[الكافرون/٦] ، فكيف يطلق الإسلام أهم الحريات – حرية الاعتقاد – ويقيد حرية الإبداع أو حرية الرأى والفكر؟! فقط وضع الإسلام ضوابط لتنظيمها وحمايتها من الأهواء التى قد تضر الإنسان.

ومن الثابت عن الرسول ﷺ أنه كان يحب الشعر الجيد ويستزيد منه، وأنه كان يحب شعر الخنساء، بل كان يحب شعر عدوه أمية بن أبى الصلت، وهذه مسألة بينها عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (دلائل الإعجاز) بالتفصيل، ومن الثابت عن الرسول ﷺ أيضاً أنه كان دائم

الدعوة إلى الابتكار والإبداع فيما يتعلق بشئون الحياة الدنيا، وكان يقول لأصحابه: «أنتم أعلم بشئون دنياكم». وكان دائمًا – وهو المعصوم– يحاور أصحابه ويستشيرهم ويعمل بآرائهم ليعلمهم الحرية فى الرأى والاستقلال فى الفكر .. يقول عليه الصلاة والسلام : « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا».. فالإنسان له شخصية مستقلة ورأيه مسموع وحريته مكفولة .

إن الإسلام منهج إلهى يدعو إلى الارتقاء بالإنسان وبالحياة من حوله، والإبداع الإنسانى هو الوسيلة إلى هذا الارتقاء، لذلك فهو يدعونا بل يفرض علينا أن نتدبر ونتأمل فى الكون وآيات الله فيه، لنستطيع أن نتجاوز الواقع ونطوره فنعرف الله حق المعرفة ونعبده حق العبادة .

وحرية الإبداع الإنسانى فى الإسلام مكفولة بلا شرط أو قيد، إلا أن يكون هذا الإبداع لصالح الإنسان وخطوة

من خطوات رقيه وتطوره.. لهذا أبدع الإنسان المسلم علومًا وفنونًا وفلسفات، ولم يبدع أسلحة تدمير.. ولم تقدم الحضارة الإسلامية ما قدمته الحضارات الأخرى من ألوان المتع الرخيصة التى تهبط بالإنسان.. من مسكرات ومخدرات وجنس، وكل ألوان المغيبات وغيرها مما يعطل مسيرة الإنسان نحو التطور والارتقاء، بل قدمت لنا الحضارة الإسلامية إبداعًا خلاقًا نافعًا من علوم مزدهرة، وفكر راق، وفن بديع.

والنصوص التى تدعونا إلى التفكر والتأمل كثيرة وافرة فى القرآن والسنة نذكر منها الآيات :

﴿ **قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾ [العنكبوت/ ٢٠].

﴿ **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾ [البقرة/ ٢٦٦].

﴿ **أو لم يتفكروا فى أنفسهم ...** ﴾ [الروم/ ٨].

﴿ **الذين يذكرون الله قيامًا وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض** ﴾ [آل عمران/ ١٩١].

هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الأمة المسلمة والتحديات المعاصرة

تواجه الأمة الإسلامية تحديات معاصرة، ويفرض الواقع المعاصر أن يكون للأمة الإسلامية دور فعال ومؤثر فى إثبات ذاتها وتأكيد هويتها الإسلامية ؛كى لا تذوب فى هويات أخرى وتسقط فى التبعية للغير.. وزادت حدة المواجهة بعد سقوط الماركسية العدو الأول لأمريكا، ولم يبق على الساحة ما يُخشى منه سوى الإسلام.

وتبذل الجهود المكثفة لتشويه صورة الإسلام بإلصاق التهم والضلالات به؛ (التطرف، الإرهاب، العنف، التخلف.. إلخ) وهو لون من محاولات السيطرة الفكرية للغرب، ويساعد على هذا أمران :

الأول : بعض السلبيات الموجودة فى المجتمع المسلم، فيأخذون المسلم غير الملتزم حجة على الإسلام، ولا يدركون أن المسلم إنسان، بشر يخطئ ويصيب، أما الإسلام فهو الدين الذى أنزله الله .. المنزه عن الضلالات والأهواء، وهو حجة على المسلم.. ولا يمكن أن يكون المسلم – حين يخطئ – حجة على الإسلام.

الثـــانى : حسن استغلال الوسائل الإعلامية المتقدمة عبر الأقمار الصناعية، وشبكات الإنترنت وغيرهما.. مما يتيح الفرصة السخية للغزو الثقافى والسيطرة الفكرية على العقول، ولابد للأمة من أن تدرك -يقيناً- أنها مستهدفة من كل الاتجاهات، وأن يكون لديها من الإعلام المتحضر المعاصر الذى يظهر جوهر الإسلام الأصيل وينفى عنه كل زيف وتضليل.

ومن جانب آخر تبذل الجهود وتتكاتف فى إضعاف جسد الأمة الإسلامية؛ إما بدسائس التفريق بين شعوبها، أو بالحصار الذى يصل إلى حد الإرهاب الدولى المعلن.

ولا يجدى ولا ينفع أبداً أن يكون موقف الأمة الإسلامية قاصراً على حد الشجب والاستنكار، أو شتم الأعداء وسب المعتدين .. أو إظهار عدوانهم وكيدهم وظلمهم.. وماذا ننتظر من عدونا إلا أن يكيد لنا .. ويدبر لنا ..؟!!!

إنما الأمر المفيد أن نسأل أنفسنا عن دورنا الغائب

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

وهل يليق بأمة رفع الله مكانتها وكَرَّمها بقوله ﴿ **كُنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ [آل عمران/ ١١٠]، أن تكون فى مكان المستهلك للحضارة بدلاً من أن تكون منتجةً للحضارة صانعة لها مشاركة فيها؟!

أين دورنا فى الإنجازات الاقتصادية العالمية فى منظومة الاقتصاد العالمى ؟! أين دورنا فى الإنجازات العلمية لمواكبة التطور الحضارى ؟!

إننا ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين يجب أن ندرك تماماً أنه لن يكون الزمام بيد ضعيف .. بل بيد الأقوياء.

يضاف إلى هذا التقليد الأعمى للغرب فى سلبيات سلوكية وسقطات أخلاقية تتنافى مع هدى الدين الحنيف.

إنه لهوان ومذلة أن تنتكس الأمة إلى التنازل عن الأسوة، والقدوة النبوية إلى أسوة أهل الفساد والشرك والهوى ، وصدق الله العظيم حين يقول :

﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ [البقرة/ ١٢٠]، ومعنى الملة هنا لا يقف عند حد الدين بل يمتد ليشمل أسلوب الحياة وطريقة التفكير وما إلى ذلك .

وأين نحن من الحقيقة القرآنية التي ركز الله عليها في قرآنه وهي : مفهوم الأمة ؛ ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء/ ٩٢]، ومفهوم الأمة لا يتأتى إلا بالاتحاد والوحدة بين الدول الإسلامية؛ لأن الأمة أمان وقوة، ولن ينال العدو منا إلا إذا تخلينا عن مفهوم الأمة .

والمستقبل للإسلام إذا أدركنا دورنا ؛ حيث يعانى العالم من أزمات طاحنة : اقتصادية، واجتماعية، وخلقية.. إلخ ، ولا منافس للإسلام فى تقديم حلول شافية لها .. فالربا وما يسببه من غلاء .. علاجه فى النظام الاقتصادى الإسلامى، والأمراض الخطيرة كالإيدز .. الوقاية منها بالالتزام بالخلق الإسلامى ، والجريمة وتقسيمها فى المجتمع.. علاجها فى نظام العدل الإسلامى.. وهكذا .

هذا فضلاً عن أن الإنسان فى رحاب حضارة الأشياء..

إنسان مطحون .. يفرح بقرص.. وينام بقرص آخر .. ويستيقظ بقرص آخر .. أما فى رحاب حضارة الإسلام.. فالإنسان مكرم .. خلقت الأشياء من أجله .. قيمته عالية .

وكما شهد الماضى القريب سقوط الشيوعية فلعل المستقبل القريب يشهد بسقوط الحضارة الأمريكية بسبب الترف الزائد الذى يسبب خللاً اقتصادياً لها بين الموارد وبين الاستهلاك .. أيضاً الفساد الأخلاقى وغياب كيان الأسرة .. أو تقلص دورها .. وشيوع الجريمة .. والسعار المادى المجنون .. كلها نذر من ربك .. فلتتأهب الأمة المسلمة لدورها الريادى لإنقاذ العالم .

نسأل الله أن يتولانا وأن يرضى عنا ،
والحمد لله رب العالمين .

شـــرق العوينــــات

فى صحبة كريمة مع إذاعة القرآن الكريم كانت رحلة المفاجآت إلى الوادى الجديد، تلك المحافظة التى تمثل ٣٧,٦ من إجمالى مساحة مصر، ومع بداية الرحلة كنت أحدِّث إخوانى عن تألمى لأمرين :

الأول : ما يتعرض له الشباب من مخاطر الإدمان والمخدرات، وسعى جهات أجنبية كثيرة وبخاصة اليهود لإشاعة الفساد بين الشباب بوسائل شتى .. يضاف إلى ذلك الفراغ القاتل الذى يعطل الطاقات الجبارة، ويقتل الطموح ويضعف الأمل..

الثانى : الجرأة على سنة سيدنا محمد ﷺ ، والخطير فى المسألة أن يتصدى لها أناس لهم رصيد فى قلوب الناس من الحب والتقدير، وبالتالى فإننا نخاف الفتنة على بعض الناس أن يتأثروا بهم فيضلوا بضلالهم، وما كان أغنانا عن أن تبدد طاقات الأمة فى مواجهات جانبية تستنزف قوة الأمة وتصرفها عن مواجهة أعداء الأمة الإسلامية .

لكن ما إن وضعنا أقدامنا على أرض الوادى الجديد حتى بدت إشراقة الأمل عندما رأينا شبابًا يسابق الزمن فى إنجازات رائعة تتحول بها رمال الصحراء إلى خضرة مبهجة، وأن يقوم هؤلاء الشباب بالتحدى الأكبر بإنتاج القمح وبمعدل متميز للفدان، لا وقت لهزل ولا وقت لإدمان .. تجمعهم ألفة ومودة وتسمع من كل واحد منهم قصة نجاح، ورحلة كفاح ، ينظرون إلى هذه الأشجار على أنها جزء منهم .

وفى شرق العوينات فى أقصى الجنوب الغربى من أرض مصر تجد سحر المكان وما به من عيون متدفقة من فيض المنعم الوهاب ، والروح العالية التى يتمتع بها شباب هذا المجتمع الجديد .. كل ذلك جعلنى أرجع بالذاكرة إلى عهد النبوة، وكأنى بسيدنا رسول الله ﷺ وهو يصحح مفهومًا ساد وشاع بين الناس قديمًا وحديثًا وهو أن التقرب إلى الله قاصر على العبادات والشعائر المعروفة، فحين رأت الصحابة شابًّا يخرج قبل الفجر لعمله ويعود بعد العشاء قالوا : لو

كان شبابه وقوته فى سبيل الله لكان خيراً له. فقال النبى ﷺ: « إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على أولاده فهو فى سبيل الله .. إلخ »

وكأنى بك يا رسول الله –صلى الله عليك وسلم– حين رفعت يد الصحابى الذى أصابت يده خشونة من فلاحة الأرض واستحيا أن يصافحك فرفعتها وقبَّلْتها أمام الصحابة، وقلت بصوت مسموع: « هذه يد يحبها الله ورسوله ».

وكأنى بك يا رسول الله –صلى الله عليك وسلم– وأنت تنادى فى الأمة فى شبابها ورجالها .. « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له ».

ووسط الاحتفال بمولد النبى ﷺ هناك سألونا: هل تحس بنا القاهرة ومحافظات مصر؟! أجهزة كثيرة لها حضور مشرف هناك لكن المسجد الوحيد بقرية العين بشرق العوينات ليس به إمام ولا مقيم شعائر، من يفتينا

فى أمور ديننا ؟.. ومن يصلى بنا؟ ومن يخطب الجمعة ؟ .. سيدى وزير الأوقاف .. هل تسمع أبناءك هناك ؟ .. هل تحس بهم وتقدر سعيهم وكفاحهم ؟**.

وتحية لإذاعة القرآن الكريم لهذا الحضور المشرف لهذه المناطق الجديدة .. فقد كان للزيارة أثر عظيم فى نفوس شباب شرق العوينات ..

أسأل الله تعالى أن يبارك فى كل سعى فيه عمارة البلاد ونفع العباد، والحمد لله رب العالمين.

** لا يفوتنى هنا أن أسجل شكرى وتقديرى لمعالى وزير الأوقاف أ.د/ **محمود حمدى زقزوق**؛ حيث أصدر تعليماته بإرسال خطيب للمسجد؛ تلبية لنداء أبنائه فور نشر هذا المقال باللواء الإسلامى، الخميس ٨/٧/٩٩ .

شكرًا للسيد الوزير، وجزاه الله خيرًا، وبارك فيه لخدمة الإسلام والمسلمين.

المأساة الكبرى واستعباد الشباب

من أسمى النعم التى أنعم الله بها على عباده هى نعمة العقل، فلقد جعله الله أساس التكليف، لكن فى غمرة اللذات وسطوة الرغبات يتجاوز بعض الشباب حدود الأدب مع نعمة الله الغالية وهى العقل، فيتناول ما يغيِّب عقله ويعيش فترات من حياته، هو محاسب عليها أمام الله عز وجل، كالأبله والمجنون سكران حيران يهزأ به الناس.

ولقد حسم الله هذا الأمر لصالح المؤمن ووضع له ضمانات تحميه وتحفظه من هذا الشر الوخيم.

فقد حَرَّم الله كل مسكر ومخدر، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة/ ٩٠].

وتقدم السنة بيانًا وتفصيلاً لهذا التحريم بأن كل مسكر حرام وبأن كل مسكر خمر، قال النبى ﷺ : « كل مسكر

حرام » وقال ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وهنا يوضح الحديث أنه لا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروبًا ، جامدًا أو مائعًا ، فكل ذلك فى حكم تحريم الخمر، أيضًا كما بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن ما يثبت ضرره ثبت تحريمه، جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ [البقرة/١٩٥] وقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا** ﴾ [النساء/٢٩].

وفى السنة ، قال النبى ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار ».

أما الضمانات التى تحمى المؤمن والوقايات التى تحفظه من شرور الإدمان .. فكثيرة :

أولها : الحذر من رفقاء السوء وصحبة الأشرار الذين يجمعهم الكأس ويضمهم الشراب وفى المقابل: على المسلم التزام الجليس الصالح؛ قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ».

ثانيها : أن الإسلام لم يكتف بتحريم الشر والرذيلة بل

حرم كل ما يؤدى إلى الفساد والشر، تستفاد هذه القاعدة من قوله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ [الإسراء/ ٣٢].

ثالثها : جعل الله للمؤمنين الذاكرين من عطائه ما يغنيهم عن طلب الراحة أو اللذة فى غيره ، قال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [الرعد/ ٢٨].

والغريب أن بعضهم يتعلل بعلل واهية هى من تلبيس إبليس عليهم.. حين يتعللون بأن دافعهم للمخدرات الهروب من القلق أو المعاناة وضغوط الحياة فى هذا العصر وما يتعرض له الشباب من فراغ قاتل وقلة فرص العمل والغلاء الضارب فى كل شىء فهم عاجزون حتى عن تحقيق منطق الإيواء فى حياتهم من مأكل ومشرب ومسكن وزوجة.

ولا ينكر أحد صعوبة هذه الظروف، لكن هل من العقل أو المنطق أن نعالج الداء بداء أعظم، أو أن نطفأ النار

بالنار لتزداد اشتعالاً؟! ألا نلجأ إلى الشفاء فى هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟!

وأمر آخر يجب أن نلفت الانتباه إلى خطورته لنحذره، وهو الخطة الشيطانية لإفساد العباد، وإليها أشار القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين** ﴾ [الأنعام/١٤٢]، وقال عز وجل: ﴿ **لا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ [النور/٢١]، ولم يقل سبحانه وتعالى : ولا تتبعوا الشيطان.

ففى الأعم الأغلب يبدأ الأمر مع الشباب بشىء يستخف الناس بضرره.. بسيجارة .. ربما على سبيل الكرم من بعض زملائه أو على سبيل حب الاستطلاع ودافع المعرفة، وربما بدافع التسلية والمزاح مع أهل الهوى، وربما بدافع إثبات الذات والفحولة والرجولة ونحو ذلك .. وأيًّا كان الدافع فالسيجارة الأولى هى البوابة الرئيسية للمخدرات، فأول مرة سيجارة تحية، وبعدها سيجارة بالبانجو .. وبعدها يطلب الشاب أن يشترى هذه السموم

والمسكرات ويقع صريعًا فى أغرب لون من الاستعباد وتحت سيطرة المخدر يفقد معه كل عزيز.

ورغم كل هذا..

فالعلاج ممكن فى رحاب هدى القرآن الكريم، ولا يُنْكر الجانب الطبى فى المسألة، فقد أشار إليه الرسول ﷺ: «لكل داء دواء».

وأود الإشارة إلى تجربة الإسلام حين نزل القرآن يحرم المسكرات والخمور على قومٍ اعتادوها فى حياتهم كاعتياد الطعام والشراب والهواء... فكيف نجحوا فى الإقلاع عنها بعدما تمكنت منهم وصارت فى دمائهم ؟؟ لقد نجحوا بالإيمان، والاستجابة لهدى الله تعالى، وسجَّل المسلم أروع انتصار على نفسه حين آمن والتزم بتكاليف الإيمان ، فنزل فيهم قول الله تعالى :

﴿ **هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم** ﴾ [الفتح/٤] .

نعم .. أنزل الله الطمأنينة وراحة البال عليهم، وأذهب عن قلوبهم القلق والميل إلى المخدر؛ لما علم صدق نيتهم. فالسبيل لمن أراد أن يقهر نفسه ويملكها قبل أن تقهره وتستعبده هو الاستجابة لهدى الله تعالى؛ لينال مدد الله ومعونته .

وبالله التوفيق وهو الشافي ولا شفاء إلا شفاؤه.

ولا حول ولا قوة إلا به ،

وصلى الله على نبينا محمد ﷺ

والحمد لله رب العالمين.

رقم الإيداع
١٣٤٦٠ / ٩٩